العقـــــــيدة

المرجعية
معناها وأهميتها وأقسامها

إعداد

د. سعيد بن ناصر الغامدي

أستاذ مساعد

جامعة الملك عبد العزيز - جدة

المرجعية: معناها وأهميتها وأقسامها

ملخص البحث:

الحمد الله والصلاة والسلام على رسول الله أما بعد :

يتحدث البحث ابتدأ عن معنى المرجعية من جهة اللغة -أصلا واستعمالا- ثم عن المعنى الاصطلاحي وعلاقته بالمعنى اللغوي ، وتحت ذلك جاء ذكر استعمال أهل العلم القدامى للفظ مرجع، ثم استعمال المعاصرين لمصطلح مرجعية، ثم بيان المراد بالمرجعية عند المعاصرين وأنهم استعملوها في ثلاثة مستويات :

الإطار الكلي والأساس المنهجي

مصادر ومستندات وأدلة المعرفة

الأشخاص الذين يعاد إليهم في المذاهب والاتجاهات.

ليخلص البحث بعد ذلك إلى مفهوم عام يجمع هذه المستويات الثلاثة ويضمها في سياق واحد .

ثم اتجه الحديث إلى بيان أهمية المرجعية، وآثارها في الأفكار والمعتقدات، ثم أقسام المرجعية باعتبار ذاتها، ثم مصادرها وأدلتها، ثم باعتبار تمثلها واستعمالها، ثم باعتبار نتائجها ومآلاتها ، وتحت هذه الاعتبارات كان الحديث عن المرجعية الإلهية الصحيحة والمشوبة أو المنقوصة ،مع تعريف بالمرجعية الصحيحة، وذكر أدلة إجمالية على صحتها،ثم ذكر المرجعية المحرفة وذكر مفهومها عند اليهود والنصارى، ثم ذكر المرجعية الوثنية ، ثم المرجعية المادية.

وبعد ذلك انتقل البحث للحديث عن المصادر والأدلة التي تستند إليها المرجعيات السابقة على وجه الإجمال، ثم عن المرجعية باعتبار تمثلها قناعة وتطبيقا، والأسباب المؤدية إلى قوة أو ضعف تمثل إنسان ما لمرجعيته.

وبعد ما سبق جاء الحديث عن المرجعية باعتبار نتائجها ومآلاتها مجملة، ثم الخاتمة المتضمنة خلاصة ما وصل إليه البحث، ثم الفهارس الخادمة.

(System of Reference..Meaning, types and importance)

Dr. Saeed Nasser Al-Ghamdi

Abstract:

All praise due to Allah, and peace and blessings of Allah be on the Prophet Mohammed

At the beginning, this paper discusses the term "Reference" from the linguistic venue in its origins and uses. And then it digs down deep to classical interpretation of the term and its relation with the literal meaning. Following that, the paper shows how this term was used by classical Muslim scholars, compared to their modern day counterparts.

The paper also shows that classical Muslim scholars used the term in three distinctive ways:

- As an Absolute term (reference frame)
- Bibliographical References (sources of knowledge)
- Personnel references (clergy and traditional scholars)

The paper then unveils the importance of the referential systems, and the role it plays in shaping thoughts and ideologies.

The paper also differentiates between several types of Referential systems on the aspects of:

١. Self
٢. Sources and proof
٣. Usage
٤. Consequences and results

Considering the above aspects, the paper went on to evaluate both the proper and mislead Divine referential system, assuming the Muslim faith to be the proper, and other faiths (Jewish, Christian, Pagan, and Materialism) to be mislead or deluded.

After that, the paper moved to state the resources and proof which all the mentioned faiths stand against in defining their Referential systems, highlighting that Referential systems are widely considered as a strong held belief or dogma, and therefore influences actions greatly.

The paper also discussed the causes of strengths and weaknesses of an individual to follow his/her referential system, and act according to its teachings.

Finally, the paper discusses the implication and outcomes of amplifying referential systems on different conditions.

The Paper concludes with a Summary and an Index

المقدمـــة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول اللهأما بعد:

فقد كثر اليوم استعمال مصطلح مرجعية، وتداولته أيدي الكتاب وألسنة المتحدثين، وتوسعوا في ذلك حتى أن بعض المستعملين له ابتذله، وربما أتى به في غير سياقه الملائم له، فكان من المناسب تجلية هذا المصطلح وبيان أهمية دلالته من حيث هو.

ثم إنه بالنظر إلى التنازع التقليدي الذي تتحكم في أمره العقائد والمفاهيم الكلية والمضامين العامة، والتي تشكل بمجموعها (مرجعية) لكل فئة، وجب إيضاح مضامين المرجعيات الأكثر انتشاراً في العالم، ليمكن الكشف بعد ذلك عن أثر هذه المرجعيات في إنشاء الصراع واستمراره، أو عدم تأثيرها.

وفي غمرة الاختلاف الصاخب حول ما الذي نأخذه من الغرب وما الذي نرده؟ تأتي المرجعية لتسهم في وضع إجابات مهمة يمكن من خلالها التفريق بين الانزلاق والانغلاق، والتفريق بين الاستفادة البصيرة والتبعية العمياء وبين المثاقفة المبصرة والمحاكاة العمياء، وبين مقتضيات العصر وأمراض العصر.

على أننا – حتى في داخل الإطار الإسلامي – نجد من خلال المرجعية الإجابة على بعض أسئلة افتراق الأمة إلى فرق عديدة، سواء في نشأتها أو في تطوراتها اللاحقة، وليس من المبالغة القول بأنه يمكن أيضاً دراسة بعض ملامح التاريخ والحضارة الإسلامية وغير الإسلامية استناداً على المرجعيات التي كانت سائدة في تلك الحقبة الزمنية بوصفها مؤثرة تأثيراً مباشراً في النشاط البشري والممارسات بشتى أنواعها.

وفي الحاضر المعاش نجد أن جوهر مجموعة من المشروعات النهضوية في العالم الإسلامي يقوم على مبدأ اللحاق بالنموذج المعرفي الغربي، الذي يحاول فرض نفسه من خلال تفوقه التقني والإعلامي وانتصاراته السياسية والعسكرية والاقتصادية، ولمعرفة حقيقة هذا النموذج لا بد من معرفة (مرجعيته) التي ينطلق منها، وتلتف حولها مفاهيمه وممارساته الكبيرة والصغيرة؛ لأن معرفة مكونات هذه

المرجعية وفهمها يعطينا القدرة على رسم درجات الإلحاق أو الالتحاق ابتداءً من المتعقلين الموائمين وانتهاءً بالمتسرعين الشكليين، وما بينهما من درجات دعاة الاستعارة والاستغراب.

بيد أن من المهم أيضاً – وربما بدرجة أكبر – معايرة وضبط تلك الدعوات القريبة من التراث والمنادية – في الوقت نفسه – باللحاق بالنموذج الغربي مع الحفاظ على الهوية قدر المستطاع، على أن يتم في الوقت ذاته تطوير الهوية لتساير العصر، وهذا نموذج بدأ ينتشر الآن بشكل أوسع ، فإذا نظرنا إلى نتاجه ومفرداته ثم أحلناها إلى (المرجعية الإسلامية) أو (المرجعية المادية الغربية) نجد أنه – في الأغلب الأعم – ليس سوى محاولة جديدة لمحاكاة النموذج الغربي، لكن في شكل إعادة قراءة للهوية بعيون غربية وعلى أسس غربية، مع إبقاء الشكل الخارجي والمحافظة على الغلاف، كل ذلك وأشباهه وما هو أخفى منه وأدق يمكن اكتشافه وقراءته من خلال أدوات كثيرة أهمها معرفة (المرجعية) ومكوناتها ومستنداتها وتمثلاتها في الواقع.

ولست في هذه الورقات بصدد الكلام عن قضايا الصراع وأدواته، ولكن الكلام متوجه إلى (المرجعية) أولاً في ذاتها تعريفاً بها وبياناً لاستعمالاتها عند العلماء، بناء على أوجه إسنادها، ثم ذكر مستوياتها حسب الاستعمال المعرفي.

ثم الحديث ثانياً عن (أهمية المرجعية وأقسامها) والتعريف بأربع مرجعيات سائدة في العالم.

وقد حاولت بهذا البحث أن أكتب شيئاً جديداً، وتوخيت في الكتابة أن أتجنب الحشد المعلوماتي، القائم على كثرة الإحالات وتكديس المعلومات، إلى منهج يعتمد على المعلومة ليخرج منها برؤية أعم وأشمل؛ ويمكنني القول هنا بأن الدراسة المتسمة بقدر معقول من التجريد والشمول، مع قدر آخر من التخصيص والتعيين هي المنهج الأمثل لمعالجة القضايا التي من هذا النوع، سائلاً الله تعالى التوفيق والسداد.

وقد كتبت هذا الموضوع وفق التقسيم التالي:

الباب الأول: تعريف المرجعية، وتحته فصلان .

الفصل الأول: التعريف اللغوي.

الفصل الثاني: المعنى الاصطلاحي، وفيه ذكرت أوجه استعمالات العلماء للفظ المرجعية ومستويات ذلك، تحت عنوان:

١ - استعمال العلماء للفظ مرجع ثلاثة استعمالات:

أ- الإسناد إلى الذوات. ب- الإسناد إلى علم معين أو كتاب معين.

ج- الإسناد إلى معاني معينة.

٢- استعمال العلماء للفظ مرجعية ثلاث مستويات:

أ- الإطار المنهجي الكلي. ب- المصادر والمستندات والأدلة.

ج- ممثلو المرجعية.

الباب الثاني: أهمية المرجعية وأقسامها،وتحته فصلان.

الفصل الأول: أهمية المرجعية.

الفصل الثاني: أقسام المرجعية،وجعلتها في أربعة أقسام:

القسم الأول: المرجعية باعتبار ذاتها (موضوعاً ومعلوماً) وتحتها التعريف بأشهرأربعة أنواع من المرجعيات السائدة في العالم، هي:

أ - المرجعية الإلهية الصحيحة. ب- المرجعية الإلهية المنحرفة.

ج- المرجعية الوثنية. د- المرجعية المادية.

القسم الثاني: المرجعية باعتبار مصادرها وأدلتها ومستنداتها.

القسم الثالث: المرجعية باعتبار تمثلها واستعمالها.

القسم الرابع: المرجعية باعتبار نتائجها ومآلاتها.

ثم ختمت البحث بخاتمة فيها تلخيص لما سبق،ثم فهارس للمراجع والموضوعات .

الباب الأول

تعريف المرجعية

الفصل الأول: التعريف اللغوي

لفظ المرجعية: أصله (رجع) ولهذا اللفظ اشتقاقات واستعمالات عديدة، منها مما له علاقة بالموضوع ما يلي:

الأول: عودة الشيء إلى الشيء، أو العودة إلى حال أو مكان، وهذا هو الأكثر استعمالاً.

ومنه قوله تعالى: (إلى الله مرجعكم جميعاً)[١] أي (رجوعكم)[٢].

وقوله تعالى: (إن إلى ربك الرجعى)[٣] أي (الرجوع والمرجع)[٤].

قال صاحب المفردات في غريب القرآن (الرجوع العود إلى ما كان منه البدء، أو تقدير البدء مكاناً كان أو فعلاً أو قولاً، وبذاته كان رجوعه أو بجزء من أجزائه أو بفعل من أفعاله فالرجوع العود والرجع الإعادة)[٥].

(ورجع إليه أقبل)[٦] والمرجع (محل الرجوع)[٧] ومنه (تراجع القوم أي رجعوا إلى محلهم)[٨] ومنه (ارتجع المرأة وراجعها مراجعة)[٩].

(وراجع الرجل: رجع إلى خير أو شر وتراجع الشيء إلى خلف)[١٠].

و(المَرْجَعُ: الرجوع إلى الموضع الذي كان فيه)[١١] وكأنهم لحظوا في هذا الاستعمال العود إلى شيء ثابت أو أصل، وهو ما أشار إليه في المفردات، وما نص عليه المعجم الوسيط بقوله: (المرجع الرجوع.. ومحل الرجوع، والأصل، وأسفل الكتف، وما يرجع إليه في علم أو أدب من عالم أو كتاب، محدثة، والجمع مراجع)[١٢].

الثاني: الرد، إما مطلقاً، أو إلى أمر سبق، وهو قريب من المعنى الأول.

ومنه قوله تعالى: (قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً)[١٣] أي أن الإنسان (يقول لربه: ارجعون أي: ردوني إلى الدنيا)[١٤].

ومنه قوله تعالى: (ولما رجع موسى إلى قومه)[١٥].

وقوله تعالى: (لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم لعلهم يرجعون)[١٦].

(قال: لعلهم يرجعون أي: يردون ثمن البضاعة لأنها ثمن ما اكتالوا)[١٧].

ومن هذا المعنى قولهم ارتجعت المرأة جلبابها أي ردته على وجهها[١٨].

الثالث: المعاودة والمحاورة والجواب.

يقال (راجع الكلام مراجعة ورجاعاً: حاوره إياه، وما أَرْجَعَ إليه كلاما أي ما أجابه.. والمراجعة المعاودة)[١٩] ومنه (حبل رجيع: نقض ثم أعيد فتله.. كل ما ثنيته فهو رجيع)[٢٠] و (الرجعى مصدر، وجاءني رجعى رسالتي أي جوابها... والرُجعان مصدر وجمع، وجاءني رجعان رسالتي أي جوابها، والرجعة جواب الرسالة)[٢١] ومنه (رَجَّع النقش والوشم والكتابة: ردّد خطوطها، وترجيعها أن يعاد عليها السواد مرة أخرى)[٢٢].

ومنه قوله تعالى: (يرجع بعضهم إلى بعض القول)[٢٣] كأنهم يتحاورون ويجيب بعضهم على بعض ويعاودون القول، (أي يتلاومون)[٢٤].

وهناك استعمالات لغوية أخرى كثيرة ذات معانٍ متعددة، ولا علاقة لها بموضوع الدراسة.

الفصل الثاني: المعنى الاصطلاحي

المقصود به ما تواضع عليه أهل العلم في استعمالهم للفظ (مرجع) أو (مرجعية) وتحته عدة مدارك:

الأول: أن لفظ مرجع و مرجعية بمعنى الأصل الذي يرجع إليه في علم أو أدب أو شأن من الشؤون، لم يكن معروفاً في القديم، وإنما هو بهذا المعنى اصطلاح حادث.

الثاني: أن هذا المصطلح لا يتنافى مع اللغة بل هو على معيارها.

ففي التعريف اللغوي الذي مر تبين أن المعنى الأول من معاني (رجع) عودة الشيء إلى الشيء، وهو الأكثر استعمالاً، وهذا المعنى متحقق في مصطلح (مرجع) و (مرجعية) إذ حقيقته عودة السائل والباحث والعالم إلى أصل يستند إليه.

وكذلك المعنى الثاني وهو الرد مطلقا أو إلى أمر سبق، وليس المرجع والمرجعية بالمعنى المستعمل في هذا العصر إلا ردّا للقضايا والأمور إلى مستند مّا.

أما المعنى الثالث وهو المعاودة والمحاورة والجواب، فإن من اتخذ مرجعاً مّا فلا ريب أنه يعود إليه المرة بعد المرة ويطلب الجواب منه؛ لأنه النموذج العلمي والمعرفي الذي يصدر عنه.

الثالث : في مدى استعمال أهل العلم للفظ مرجع ومرجعية.

أولاً : لفظ (مرجع).

استعمل العلماء قديماً وحديثا هذا اللفظ مسندا إلى عدة أمور منها:

١- **الإسناد إلى الذوات:**

ومن ذلك ما يسند إلى ذات الله تعالى، فيقال: (الحكم بما أنزل الله مرجعه إلى الله) أو (إلى الله المرجع والمآل) ونحو ذلك وهو كثير.

ومنه ما يسند إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيقال (هذا الأمر مرجعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم) أو (المرجع هدي النبي صلى الله عليه وسلم وسنته) وكقول بعضهم (والمرجع إلى قوله أولى من فعله).

ومنه ما يسند إلى عالم أو علماء كأن يقال: المنقولات فيها كثير من الصدق وكثير من الكذب والمرجع في التمييز بين هذا وهذا إلى أهل علم الحديث، كما نرجع إلى النجاة في نحو العرب، ونرجع إلى علماء اللغة في معرفة ما هو من اللغة، والمرجع في الشعر علماء الشعر وفي الطب علماؤه. أو يقال في الفقه مثلاً: واختلفوا في مقدار الحبس في التهمة هل هو مقدر أو مرجعه إلى اجتهاد الوالي والحاكم على قولين.

أو يقال: تفسير القرآن ومعاني الحديث والكلام في الفقه والتوحيد هذه المرجع فيها إلى من كان من أهل العلم بها والتقوى لله فيها.

أو يقال في عالم معين: وإليه كان مرجع أهل الشام في الجرح والتعديل، أو كان مرجع الحنابلة في الديار المصرية.

أو يقال: الساحر والكاهن مرجع كل منهما للشياطين.

أو يقال: المرجع في القضايا الفطرية إلى أهل الفطر السليمة[٢٥].

وأمثال هذا كثير في كلام علماء الإسلام.

٢- الإسناد إلى علم معين أو إلى كتاب معين:

كأن يقال: والمرجع في إطلاق الألفاظ نفياً أو إثباتاً إلى ما جاءت به الشريعة.

أو يقال: المرجع في القُرَب والطاعات والديانات والمستحبات إلى الشريعة.

أو يقال: وإن قدر أن بعض العلماء خالف الآخر في مسألة أو مسائل فالمرجع فيما تنازعوا فيه إلى الكتاب والسنة[٢٦].

٣- الإسناد إلى معانٍ معينة:

كـأن يقـال: اسـمان عليهمـا مـدار الأسـماء الحـسنى كلهـا وإليهمـا مرجـع معانيهما وهما الحي القيوم.

أو يقال: إن كان الاحتجاج بالعقل فالمرجع في ذلك إلى المعاني لا إلى العبارات.

أو يقال: الألفاظ إذا اختلفت في ذاتها وكان مرجعها إلى أمر واحد لم يوجب ذلك تناقضاً.

أو يقال: قال (السيدُ الله) إنما أطلقه لأن مرجع السيادة إلى معنى الرياسة على من تحت يده.

أو يقال: ما لم يقدّره الله ورسوله من الحقوق الواجبة فالمرجع فيه إلى العرف، ومن حلف لا يعمل عملاً فقال قولاً هل يحنث؟ أجيب بأن مرجع اليمين إلى العرف.

ومن هذا الباب ما يرد كثيراً في كتب اللغة والفقه وشروح الحديث من قولهم: ومرجع الضمير كذا ونحو ذلك[٢٧].

ومن هذا الباب أيضاً ما أصبح معروفاً في الأبحاث العلمية المعاصرة من تسمية الكتب التي يأخذ منها الباحث (مراجع)[٢٨].

ثانياً : لفظ (المرجعية):

لا يوجد هذا اللفظ في كتب اللغة القديمة، ولكنه في هذا العصر مستعمل بكثرة، كقولهم (معنى مرجعي) و (وظيفة مرجعية) و (خطأ مرجعي) و (نظرية المرجعية) و (مؤشر المرجعية)[٢٩] ونحو ذلك من الألفاظ المتداولة في حقل الكتابات الفكرية والأدبية وغيرها.

ومن الملاحظ أن لفظ (مرجعية) مستعمل بكثرة في الطائفة الشيعية للتعبير عن مقام علمائهم وفقهائهم ومنزلتهم شبه المطلقة في الطاعة والإتباع.

والسؤال المطروح هنا هل يصح استعمال لفظ (مرجعيه) من جهة اللغة ثم من جهة الشرع.

أما من جهة اللغة فيمكن القول بأن هذا الاشتقاق صحيح لغةً، بناءً على أن باب الاجتهاد في اللغة مفتوح بشروطه وضوابطه، فيكون لفظ (مرجعية) مصدرا صناعيا محدثا يشبه لفظ (مذهبية ومدرسية ومنهجية) وهو مقبول من جهة اللغة قياساً؛ لأنه يتوافق مع أصله ولا يعارضه.

أما من جهة الشرع، فإن لفظ (مرجعية) يندرج ضمن قاعدة المصطلحات المحدثة التي بها يقاس صلاح المصطلح أو فساده، فما كان فاسداً يرد، وما كان صالحا يقبل، وما كان محتملا للصحة والفساد فلا يقبل بإطلاق ولا يرد بإطلاق، بل لا بد فيه من التفصيل، فيقبل الصواب ويرد الخطأ[٣٠].

ومصطلح (مرجعية) من حيث هو يعتبر مصطلحاً صالحاً، بغض النظر عن طريقة استعماله، فهو يشبه مصطلح (عقيدة) من ناحيتين:

الأولى: أن كلا المصطلحين محدث.

الثانية: أنهما في أصلهما صالحين، ثم قد يدخل عليهما الفساد بالاستعمال، فإذا قيل عقيدة النصارى هي التثليث فإنه يشبه قولنا مرجعية النصارى هو الإنجيل مثلاً.

والمراد أن لفظ مرجعية لا يتعلق به مدح أو ذم أو حق أو باطل في ذات

المراد بالمرجعية:

عند التأمل في أقوال العلماء والمفكرين وأصحاب المذاهب والاتجاهات المختلفة نجد أن مصطلح (المرجعية) يستعمل في ثلاثة مستويات:

الأول: (وهو أعلاها) يراد بالمرجعية فيه:

الإطار الكلي والأساس المنهجي والركيزة الجوهرية في أي خطاب أو ملة أو مذهب أو دستور أو نظام.

وهذا هو المستوى الأكبر من حيث العلو والعمومية والشمول والاستيعاب، بحيث تصبح المرجعية هي المصدر النهائي الذي ترد إليها الأمور وتنسب إليها، فهي بهذه المثابة تصبح نظاماً كلياً عاماً، ومصدراً ضرورياً لتفسير كل شيء من خلال هذا النظام المرجعي الكلي(٣١).

وفي هذا المستوى تفترق المرجعيات السائدة في عصرنا إلى مجموعتين:

الأولى: ترى المرجعية النهائية والكلية تعود إلى (واحد) (أعلى) من الإنسان والكون والطبيعة والمادة، ولا يعلو عليه شيء، إنه (الله) سبحانه، الموجد للعالم و (كل ما سوى الله عَالَم) وهو مصدر وحدة الكون ونظامه الطبيعي، وهو منزه عنه؛ لأنه خارج عالم الطبيعة والمادة والتاريخ وأعلى وأجل من أن تحيط به، بل هو سابق عليها، وهو الذي يدبرها ولا يحل فيها ولا تحل فيه، ولا يمكن أن توجد حياة أو كون أو إنسان أو مادة أو طبيعة دون وجوده، كما لا يمكن أن تستمر في وجودها واتساقها بدون هذا الإله، الذي تعود إليه المرجعية النهائية في شأن (العالَم) خلقاً وأمراً، قدراً وشرعاً.

الثانية: ترى المرجعية النهائية والكلية تعود إلى (العالم) أي أن العالم يحوي داخله ما يكفي لنشأته وصيرورته واستمراره وتفسيره، كل ذلك ضمن إطار واحد لا يوجد سواه هو إطار (المادة) التي يتكون منها كل شيء ويؤول إليها كل شيء، وليست هناك حاجة لأي مرجعية خارج النظام الطبيعي.

أما المرجعيتان الأخريان (السماوية المحرفة) و (الوثنية) فهي وإن كانت موجودة ولها أتباع، ولكنها تأثرت بالمرجعية المادية ، فظاهرة علمنة النصرانية واليهودية بارزة ومشهورة، وتسلل المفاهيم المادية إلى هاتين الديانتين على مستوى المفاهيم والتطبيقات أضحت جلية لكل باحث متعمق في شؤون النصرانية واليهودية، ومن أبرز ذلك محاولات القساوسة والرهبان والحاخامات تطويع أديانهم لتسير على قضبان القطار المادي.

أما (المرجعية الوثنية) فإنها تستند إلى آلهة (مادية) (إنسان، صنم، وثن، نهر، بقرة، كواكب... إلخ) فهي في حقيقة الأمر (مادية طبيعية) وإن اختلفت في غيبياتها وطقوسها العبادية عن ما يسمى (المادية العلمية) على أن هذه التسمية ليست صحيحة، ولكن الفكر الغربي المعاصر درج على إطلاق لفظ (علمي) بمعنى (محسوس) أو (تجريبي) مقابل (الغيبي) وسار على نهجه تلامذته المقلدون له من أبناء البلاد الإسلامية.

المستوى الثاني للمرجعية: المصادر والمستندات والأدلة التي يُعتمد عليها لتكوين أي نوع من أنواع المعرفة.

وفي ذلك عدة اتجاهات قديماً وحديثاً، فهناك – على سبيل المثال – من قال بأن العقل هو مصدر المعرفة اليقينية، وادعى الحسيون أن الحواس هي المصدر الوحيد للمعرفة، وقال آخرون بأن الوحي وحده مصدر المعرفة، وعموم علماء الإسلام على أن الوحي والعقل والحس والفطرة مصادر للمعرفة وهي على درجات ولكل منها مقتضيات ومجالات[٣٢].

المستوى الثالث للمرجعية: (ممثلو المرجعية):

وهم الأشخاص الذين يعاد إليهم في الشؤون العلمية أو العملية.

فداروين ونيتشه وفرويد من (مرجعيات) الفكر المادي، ونتاجهم يعتبر من الأصول المعرفية للدنيوية المعروفة اصطلاحاً بالعلمانية.

والصحابة مرجعية لأهل الإسلام (في الجملة)[٣٣]، وأرسطو مرجعية لأهل الفلسفة.

بيد أن من أشهر من استعمل مصطلح (مرجعية) بهذا الاعتبار الشيعة ، كما سبقت الإشارة إليه، والمرجعية عند الإثنى عشرية تأخذ صفة تتلبس بالقداسة، وتكاد تصل إلى درجة العصمة عند كثير منهم، وبذلك يتحول (المرجع) من ممثل لمرجعية فكرية أو عقدية إلى كونه هو بذاته يصبح (مرجعية)[٣٤].

وتكاد بعض الطرق (الصوفية) المنتسبة إلى السنة تصل بشيوخ الطريقة إلى تلك الدرجة التي وصل إليها الشيعة في أئمتهم ومرجعياتهم.

أما عموم أهل السنة فيقل استعمالهم لمصطلح (مرجعية) وإذا استعملوه فيريدون به (العلماء) الذين هم عند أهل السنة ذرائع لمعرفة الحكم الشرعي، وطاعتهم مقيدة بهذا الاعتبار، فليست لهم طاعة مطلقة ولا طاعة ذاتية، وليس لهم حق في التشريع المطلق، ولا يتجاوز دورهم حفظ النصوص الوحي وفهمها واستنباط الأحكام منها، والنظر في النوازل وبيان الحكم الشرعي فيها بالرد إلى نصوص الشريعة، وقد يصيبون وقد يخطئون.

وقد تطلق (المرجعية) في هذا المستوى على الجهة التي يحتكم إليها المتخاصمون كالمحكمة والقاضي، أو الجهة التي بيدها الحل والعقد، كالوالي والحاكم والسلطان.

ومما سبق يتضح أن المرجعية في المستوى الأول أعم وأشمل وأعمق، وفي المستوى الثاني هي الأدلة الكلية أو الجزئية، والتي هي داعمة ومؤيدة ومقوية ومغذية للمستوى الأول، أما في المستوى الثالث فتصبح المرجعية النموذج المشاهد الذي يخرج بالمرجعية ومصادرها وأدلتها من حيز التجريد إلى حيز الوجود والتشخيص، بغض النظر عن الغلو في هذا أو عدمه، وقد يتمثل ذلك عالم معتمد أو كتاب، أو منهج علمي أو عملي، أو في هيئة أو نظام.

ولعله بعد هذا العرض يمكن الخروج بمفهوم يجمع المستويات الثلاثة ويضمها في سياق واحد.

فيقال المرجعية هي:

(الإطار الكلي والأساسي المنهجي، المستند إلى مصادر وأدلة معينة، لتكوين معرفة مّا أو إدراك مّا، يبنى عليه قول أو مذهب أو اتجاه يتمثل في الواقع علماً أو عملاً).

الباب الثاني

أهمية المرجعية وأقسامها

الفصل الأول: أهمية المرجعية

إن قضية (المرجعية) ذات أهمية كبرى فهي الفكرة الجوهرية التي تشكل قاعدة لكل الأفكار والمعتقدات في اتجاه ما أو مذهب ما، وتبرز أهمية المرجعية من كونها الركيزة الثابتة والتي لا يمكن أن يقوم أي خطاب أو معرفة أو رؤية بدونها.

كما تبرز أهمية المرجعية من جهة أنها كامنة في أعماق صاحبها ثابتة يُرجِعُ إليها متفرقات الأمور والقضايا؛ بوصفها متجاوزة لكل شيء ولا شيء يتجاوزها أو يتخطاها، فالمؤمن بالله تعالى – حقاً – إذا حدث له أمر أو عرض له عارض (علمي أو عملي) رجع بعقله وشعوره إلى الله تعالى، لمعرفة مراد الله أو حكمته.

والمادي يرجع إلى المادة والكون والإنسان، وعلى مستويات أخص نجد أن المؤمن بمرجعية الوحي يعود إلى الأدلة الشرعية كما أن المؤمن بالمرجعية المطلقة أو شبه المطلقة (للإمام) أو (نائب الإمام) أو(شيخ الطريقة) يعود إلى هؤلاء.

كما تبرز أهمية المرجعية من جهة تأثيرها في صياغة المذاهب والاتجاهات والدساتير والنظم، ثم ما يتبع ذلك من أمور وأوضاع تحالفية أو تخالفية أو غيرها، وبذلك يمكن القول بأن الخلاف حول (المرجعية) أصل لصراعات عديدة، وقاعدة لنظريات متعاكسة متشاكسة، وهذا ما يؤكد أهمية المرجعية أيضاً.

ومن تأمل الدعوات الفكرية والإصلاحية، والاتجاهات والمذاهب يجد أن كبار منظريها يهتمون بتأصيل الأصول والمنطلقات، ووضع الأسس والركائز الجوهرية؛ لأهميتها النظرية والعملية، ولذلك نجد أن هؤلاء جميعاً ينافحون عن هذه الركائز المرجعية، ويجتهدون في تثبيتها ورد أي شبهة أو اعتراض يوجه إليها،

مع أنهم قد يتغاضون عن الاعتراضات الفرعية، وليس ذلك إلا لأهمية المرجعية وخطورة التعرض لها؛ لكونها القاعدة الصلبة التي يبنى عليها كل شيء يأتي بعدها.

وفي ميادين الصراعات الفكرية والسياسية وغيرها نجد أن كل أطراف الصراع تتوجه أولاً إلى (جذور مشروعية الآخر) وأهم هذه الجذور (المرجعية)، فكفار مكة قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم (لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم)[٣٥]، ومعنى هذا القول: ألم يجد الله تعالى رسولاً يرسله غير محمد مع وجود عظماء مكة والطائف وأكابر القوم؟ وهذا تشكيك منهم في المرجعية ، وحينما كانت مرجعية كفار العرب ما كان عليه آباؤهم خاطبهم النبي صلى الله عليه وسلم بما أنزل الله تعالى (وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً لا يهتدون)[٣٦]، وهذا نقض لمرجعيتهم التي يستندون إليها.

ومن الأمثلة المعاصرة في المجال السياسي لفظ (الشرعية) فيقال (شرعية الدولة) و(شرعية النظام) و (شرعية الحاكم) و (الشرعية الدولية) و يراد بها الحالة التي تكون فيها هذه المسميات صالحة ومقبولة استناداً إلى ركائز وأصول معينة (مرجعية) تعطيها صفة الصلاحية والقبول التي تدعيها أي جهة لنفسها، وتعطيها المسوغات لمجابهة من يناقض (شرعيتها) المستندة إلى (مرجعية معينة).

وحتى في الأفكار التي يرغب أصحابها في وصفها بأنها غير (مؤدلجة)[٣٧] أو (لا منتمية)[٣٨] أو تأخذ بمبدأ (النسبية المطلقة)[٣٩] أو تدعي التمرد على القيود والضوابط والمناهج، ونحو ذلك مما أنتجته الحداثة أو ما بعد الحداثة، لابد أن نجد لكل هذه الاتجاهات مرجعية أو مرجعيات تقوم عليها؛ لأن هذه هي طبيعة الأفكار والمناهج والمذاهب، مهما حاول أصحابها التخلص من أية مرجعية، وحتى (الفوضوية)[٤٠] التي تبدو ظاهرياً أنها في أقصى درجات التخلص من المرجعية كما يرى أصحابها نجد أنها في النهاية تؤول إلى مرجعية عليا ينطلق منها هذا التصور أو ذلك المذهب ، وهي هنا في كل الأمثلة المذكورة آنفاً المرجعية المادية، والرؤية المادية ذات الشعب الكثيرة، التي تتجه بشكل عام إلى تفسير الإنسان في كليته

باعتباره كائناً صغيراً يدخل بكليته في شبكة السببية المادية ذات الحلول الكلي والسيطرة الكلية.

فإذا كانت الأفكار والمناهج التي تسمى (ثورية ومتمردة ومتجاوزة وغير محصورة ولا مؤطرة) لا تنفك عن مرجعية فهذا من أكبر الأدلة على أهمية المرجعية وأثرها الفكري والعملي.

الفصل الثاني: أقسام المرجعية

عرضت فيما مضى جملة من الأقسام على سبيل التمثيل، والآن أذكر أقسام المرجعية باعتبارات متعددة.

الأول: المرجعية باعتبار ذاتها، موضوعاً ومعلوماً.

الثاني: المرجعية باعتبار مصادرها وأدلتها ومستنداتها.

الثالث: المرجعية باعتبار تمثلها واستعمالها.

الرابع: المرجعية باعتبار نتائجها ومآلاتها.

القسم الأول: المرجعية باعتبار ذاتها (موضوعاً ومعلوماً):

المرجعية بهذا الاعتبار حاكمة ضابطة لغيرها ومؤثرة فيما يقع دونها، ولا تختلف المرجعيات عن بعضها من هذه الجهة، وإنما من جهة أهميتها وفضلها ونفعها المتعلقة باختلاف موضوعها ومعلومها. فكلما كان موضوعها كاملاً شريفاً ومنزهاً، ذا صفات حسنة، كانت المرجعية أشرف وأعظم وأفضل، والعكس صحيح أيضاً.

والمرجعيات في العالم باعتبار موضوعها تنقسم من حيث الجملة إلى أربعة أقسام:

١- المرجعية الإلهية الصحيحة.

٢- المرجعية الإلهية المحرفة [٤١].

٣- المرجعية الوثنية.

٤- المرجعية المادية.

فالمرجعية الإلهية: هي التي يؤمن أصحابها بالله تعالى رباً خالقاً مدبراً متصفاً بصفات الجمال والجلال والكمال، وينقسم أصحاب هذه المرجعية إلى قسمين في الجملة.

القسم الأول: **أصحاب المرجعية الإلهية الصحيحة الكاملة**، وهم أهل العلم والإيمان والإتباع، الذين تتعلق مرجعيتهم الكلية الشمولية بالله تعالى على صفة صحيحة سليمة، أي أنها من حيث الثبوت والصحة قائمة على البراهين، ومن حيث السلب سالمة من المعارض المعتبر، ومن عوارض النقص والعيب.

فأهل الإسلام – في الجملة – تقوم مرجعيتهم على الإيمان بالله تعالى رباً عظيماً غنياً عن خلقه مالكاً لهم متصرفاً فيهم، متصفاً بالحسن في ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله، ومستحقاً للعبادة وحده دون سواه، له الخلق والأمر والحكم، وهذا هو موضوع ومعلوم هذه المرجعية؛ ولذلك كان مقامها ومنزلتها أعظم وأقوم وأهدى وأشرف، إذ من المعلوم أن المتعلق – بكسر اللام – يشرف بشرف المتعلق – بفتحها – وموضوع ومعلوم هذه المرجعية متعلق برب العالمين الذي ليس كمثله شيء.

وبهذه المرجعية العالية الرفيعة يتميز أهل الإسلام على من سواهم، إضافة إلى أمور أخرى (تشريعية وأخلاقية وعبادية)، تميزهم، وترجع – في حقيقتها – إلى هذا الأصل وتعود إلى هذا المرتكز.

القسم الثاني : **أصحاب المرجعية الإلهية المشوبة أو المنقوصة** وهذه تكون عند من ضل من أهل الإسلام عن الصراط السويّ، وسلك مسالك أهل الأهواء، حيث نجد أنه أُتي من إخلاله بأصل من أصول المرجعية الصحيحة أو قاعدة من

قواعدها، أو قضية من قضاياها المحكمة، فبعض أصحاب البدع الكلامية – مثلاً – ينفون عن الله تعالى شيئاً من صفاته، وفي هذا إخلال بأساس في ذات المرجعية، يؤدي إلى استنقاص حق الله في صفات الكمال التي أثبتها لنفسه، وبعض أهل البدع الذوقية يدعي أن الولي الفلاني يعلم الغيب أو يتحكم في شؤون الخلق، وهذا إخلال بأصل في ذات المرجعية يقوم على أنه لا يعلم الغيب إلا الله، ولا يدبر الكون سواه .

ويمكن القول بأن أصحاب هذه المرجعية المشوبة أو الناقصة، مع إعلانهم الإقرار بأركان الإيمان الستة إجمالا إلا أنهم –ومع تفاوت بينهم- جعلوا المركزية لغير الوحي ، وهذه المركزيات هي :

١- النظر والعقل عند المذاهب الكلامية .

٢- الذوق والكشف والعرفان عند المذاهب الصوفية.

٣- الإمام عند المذاهب الشيعية كالاثني عشرية .

٤- الباطن عند المذاهب الباطنية وفلاسفة المتصوفة، وكثير من العلماء قديماً وحديثاً يدخلون هذا القسم الأخير ضمن المرجعية الإلهية المحرفة لبعدهم عن الإسلام كالدروز والنصيرية.

وبعض أهل البدع العملية يدعي أن الإمام أو الفقيه النائب عن الإمام أو العابد فلان لهم حقوق في التشريع ونسخ الأحكام الشرعية أو تأويلها وتبديلها، وهذا اعتراض على حق الله المطلق في التشريع والأمر والنهي والحكم دون سواه.

إن **المرجعية الإلهية الصحيحة الكاملة** هي المعيار، وليس من المبالغة القول بأن المرجعية بهذا المعنى تعتبر أعلى مرجعية لا من حيث هي فقط، بل من حيث أثرها على ما سواها من المرجعيات، عند المؤمنين بها على وجه التأكيد، وعند غير المؤمنين بها على وجه التصور العقلي والتصديق الكوني؛ لاستحالة وجود مخلوق بلا خالق، واستحالة انتظام الكون والحياة بلا إله مدبر، ثم إن هذه المرجعية تستند على البرهان العقلي الصحيح، والدليل الحسي الصادق، والشاهد الفطري السليم، وإيضاح ذلك بما يلي:

١-تقوم المرجعية الإلهية الصحيحة على عدة أركان وينبني على كل ركن مجموعة من القضايا الكبرى.

٢- عند تأمل الأركان التي تقوم عليها المرجعية الإلهية الصحيحة الكاملة نستطيع معرفة الخلل في المرجعيات الأخرى سواء المنتسبة إلى الإسلام أو غير المنتسبة له.

٣- تعريف المرجعية الإسلامية الصحيحة الكاملة يبين جوانب من أهميتها ومنزلتها، وهذا هو تعريفها:

(**الإيمان بالله رباً وإلهاً، له صفات الكمال المطلق وليس كمثله شيء، وله الحكم المطلق كوناً وشرعاً، وله الخلق غيباً وشهادة، وهو مستقل عنهم، ولم يتركهم هملاً، وهم إليه راجعون**).

٤-تفصيل هذا التعريف:

١- **الإيمان**: المراد به الإقرار عن تصديق متضمناً القبول والإذعان[٤٢].

٢- **رباً**: المراد به الإقرار بوجود الله تعالى، وبأفعاله سبحانه المتضمنة للخلق والملك والتدبر.

٣- **وإلهاً**: المراد به الإقرار بألوهية الله تعالى وأنه وحده الإله الحق، الإله المعبود حباً وتعظيماً.

٤- **له صفات الكمال المطلق**: المراد به الإقرار بأن لله تعالى الصفات الكاملة من كل وجه.

٥- وليس **كمثله شيء**: المراد به نفي أن يكون له مماثل أو نظير في ذاته أو أفعاله أو صفاته أو أحكامه القدرية والشرعية.

٦- له **الحكم المطلق كوناً**: المراد به الإقرار بأن الله تعالى له الإرادة والمشيئة المطلقة فلا يقع في الكون ما لا يريده سبحانه، فقد علم كل ما كان وما يكون، وكتب ذلك وشاءه وخلقه.

٧- وشرعاً: المراد به الإقرار بأن لله حق الطاعة المطلقة في كل ما أمر به ونهى عنه في العقائد والعبادات والشرائع والأخلاق.

٨- **وله الخلق غيباً وشهادة**: المراد أنه سبحانه مالك لعالم الغيب ولعالم الشهادة، وهذا يتضمن انحصار علم الغيب المطلق به جل في علاه، ويتضمن كذلك وجود عالم غيبي غير مرئي كالملائكة والجن، وما في الأفلاك والكون الفسيح، وما يكون في المستقبل، وما يحدث بعد الموت من أحوال وأمور.

٩- وهو **مستقل عنهم**: المراد أنه سبحانه أعلى من الإنسان والكون والطبيعة والمادة ولا يعلو عليه شيء، وهو مصدر وحدة الكون ونظامه الطبيعي، وهو منزه عنه؛ لأنه خارج عالم الطبيعة والمادة والتاريخ، وهو الذي يحركها ولا يحل فيها ولا تحل فيه.

١٠- **ولم يتركهم هملاً**: أي أن الخلق كلهم (الغيبي والمشاهد والمعقول والمحسوس والجواهر والأعراض) وجدوا لحكمة، وكما أنه لا يمكن أن يوجد كون أو طبيعة أو مادة أو إنسان دون وجود الله فإنه أيضاً لا يمكن أن يستمر وجودهم واتساقهم بدونه، ولوجود العقلاء من الخلق حكمة خاصة من خلقهم وتكليفهم، ولذلك أرسل لهم الرسل وأنزل معهم الكتب.

١١- **وهم إليه راجعون**: المراد الإقرار بالمعاد، وأن الحياة ليست منحصرة في هذه الدار، ولا مقتصرة على زمن الدنيا.

٥- القضايا الكبرى التي يتضمنها تعريف المرجعية الصحيحة هي كما يلي:

أ- (الإيمان بالله رباً وإلهاً له صفات الكمال المطلق) وهذا هو الركن الأول من أركان الإيمان وهو (الإيمان بالله) بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته.

ب- (له الحكم المطلق كوناً) وهذا يتضمن ركن الإيمان بقضاء الله وقدره، المنتظم لذوات المخلوقات وأعمالهم وأوصافهم.

ج- (له الحكم المطلق شرعاً) وهذا تخصيص لجانبين مهمين هما جانب العبودية التي هي لله تعالى وحده، وجانب الحكم بشريعته والذي هو حق له تعالى، ولا يصح أن يشرك معه أحد في أي من هذين الجانبين.

د- (له الخلق غيباً وشهادة) وهذا يندرج فيه من أركان الإيمان الغيبية (الملائكة واليوم الآخر).

هـ- (لم يتركهم هملاً) وهذا يتضمن ركني (الرسل والكتب).

و- (وهم إليه راجعون) مختص بركن اليوم الآخر.

٦- الأدلة الإجمالية على كون هذه المرجعية المذكورة في التعريف صحيحة كاملة.

إن الحكم بالصحة على مرجعية مّا دعوى كل يدعيها، ولا يحكم بصحة الدعوى إلا بوجود أدلة عليها، على أن الأدلة ذاتها مما اختلف الناس فيها من حيث صحتها ودلا لتها على المقصود وانضباطها واضطرادها وسلامة الحكم المترتب عليها.

وليس المراد هنا استعراض الأدلة فإن ذلك مما يطول، ولكن الإشارة إلى المستندات الرئيسية التي يقوم عليها الحكم بالصحة.

أولاً: **دليل العقل**: وهو استعمال آلة العقل للوصول إلى أدلة صحيحة لإثبات القضية[٤٣].

- ومن ذلك أن العقل السليم لا يتصور تسلسل الخالقين إلى غير نهاية، أي أن الإيمان بتسلسل في الخلق لا ينتهي أمر لا يمكن للعقل قبوله، ولذلك لا بد من الإيمان بخالق له القدرة المطلقة والحكمة البالغة ،وله حق الطاعة فيما أمر ونهى.

- ومنها التوصل إلى معرفة حدوث العالم من خلال إدراك قضيتين عقليتين.

الأولى: أن العالم متغير، وهذه قضية يدركها العقل بيسر.

الثانية: أن كل متغير حادث وهذه من بدائة العقول، إذن فالعالم حادث مخلوق مُدَّبر لخالق عظيم عالٍ له الكمال المطلق،والملك المطلق والطاعة المطلقة.

ومنها: أن العقل يثبت باطراد وقطع، أن العدم لا يوجد شيئاً؛ لأنه لا وجود للعدم، فإذا رأينا مفعولات وموجودات علمنا أن لها موجداً، بل أمكننا أن نعتبر الموجودات مرآة لبعض قدرة الفاعل وبعض صفاته ، لوجود علاقة محكمة بين المصنوع والصانع؛ إذ لا يمكن أن يكون شيء في المصنوع لا يملك الصانع قدرة أو صفة تمكنه من فعل ذلك الشيء في مصنوعة.

فإذا طبقت هذه المبادئ العقلية على العالم وشاهدنا آلاف البلايين من المخلوقات والأحداث جزم العقل بأن لكل فعل منها فاعلاً ؛لأن العدم لا يخلق شيئاً.

وإذا طبقنا المبدأ العقلي القائل بأن الفعل مرآة لبعض قدرة فاعله وبعض صفاته، ونظرنا في الإحكام الكوني والاتساق والنظام علم العقل أن هذا من صنع قادر حكيم واحد عليم منزه عن النقص.

وهكذا يمكن الاستدلال بأدلة عقلية كثيرة كالاستقراء والقياس والتمثيل، وما هو أعلى من ذلك كالمبادئ العقلية والضرورية، مثل مبدأ عدم التناقض، ومبدأ السببية وغيرها؛ لإثبات الوجود والربوبية والألوهية والقداسة وما يترتب على هذه القضية الكبرى من مترتبات علمية أو عملية.

ثانياً: دليل الحس، وهو قائم على الإدراك الحسي للواقع الخارجي و (الحس به تعرف الأمور المعينة، ثم إذا تكررت مرة بعد مرة أدرك العقل أن هذا بسبب القدر المشترك الكلي)[٤٤].

والحس لا يعلم إلا معيناً ، بخلاف العقل فإنه يمكنه مجاوزة المدركات الحسية بإدراك كلي مطلق لكن بواسطة التمثيل[٤٥].

وأدلة الحس كثيرة جداً، يدركها الإنسان إدراكاً مباشراً، فيحصل له بها علم ضروري يعلم صحته، ويدرك به العلاقة الضرورية بين المحسوس وما يستدل عليه من أمور غيبية، بحيث لا يمكن إثبات الوجود للأثر المحسوس إلا مع إثبات سببه الغيبي(٤٦).

وهذا قد يقع حتى في عالم الشهادة، فالتفاعل الذري النووي لا يرى بذاته، وإنما تُرى آثاره، وانتقال الأصوات والصور عبر أمواج فضائية لا تدرك بالحس، وإنما ترى أثارها في أجهزة الاستقبال المسموعة والمرئية.

وكم من حقيقة استنبطها العلماء النظريون – بالمنطق العقلي الرياضي، وأكدوا ضرورة وجودها، ثم جاء علماء التجربة فأكدوا وجودها بالآلات الحسية(٤٧).

والكون مليء بأدلة الحس على وجود الله وربوبيته٤٨، وهي المخلوقات المختلفة المتنوعة، والتي يشاهد الإنسان فيها – رغم اختلاف أجناسها وأنواعها – علاقات متسقة، فليست مجرد خلق منفصل متكوم بعضه فوق بعض، بل هذه المخلوقات في علاقة بعضها ببعض، أو في علاقة أجزاء الواحد منها ببقية الأجزاء نجدها مرتبة بنظام دقيق ومصممة تصميماً يدل على أن هناك غاية لوجودها، وتدل أيضاً على أن لها صانعاً قادراً واحداً عالماً حكيماً، هو الذي جعل حركة الخلق متسقة ومتوازنة، محكومة بقوانين واحدة لا تختلف(٤٩).

والحقيقة أن الإدراك الحسي المباشر لوجود الخلق بعد العدم، واستمرار وجودهم وما في ذلك من الاتساق والإحكام والإتقان يستلزم – ضرورة – أن يكون لهذا الخلق موجداً له كمال مطلق ، بناء على اضطراد صحة قانون السببية الضروري(٥٠).

ثالثاً: دليل الفطرة، وهو قائم على ما فطر الله عليه الناس، وما ركزه في نفوسهم من قوة علمية وإرادية تقتضي معرفة الله تعالى وتوحيده، وما يستلزمه ذلك من إثبات الكمال المطلق له تعالى واستحقاقه العبادة، وقد تسمى ضرورة فطرية أو حقيقة فطرية حسب درجة ثبوتها، بناء على أن النفس لها مطلوب مراد بضرورة

فطرتها، وهي بمقتضى هذه الضرورة النفسية لا تسكن إلا بمعرفة الله ومحبته والتقرب إليه، ما لم تدنس هذه الفطرة وتفسد قوتها العلمية أو قوتها الإرادية، إذ الفطرة في أصلها خلقة تقتضي توحيد الله تعالى، فإذا وجدت أسباب ذلك وانتفت الصوارف والموانع حصل المقتضى وإلا فلا[٥١].

كما أن الفطرة التي تستلزم الإقرار بالخالق ومحبته والإخلاص له عند سلامتها من التشويه لها موجبات ومقتضيات علمية وعملية تحصل شيئاً بعد شيء بحسب كمال الفطرة إذا سلمت من المعارض[٥٢].

ومع كون الإنسان قد فطر على معرفة الله وتوحيده إلا أن الفطرة ليست مستقلة بتحصيل ذلك بل تحتاج إلى سبب معين للفطرة كالتعليم ونحوه [٥٣].

رابعاً: **دليل الوحي**، وهو أن كل الكتب السماوية، وجميع الأنبياء والرسل جاءوا من أجل تقرير وإيضاح حقيقة معرفة الله وتوحيده وعبادته، وكذلك ما في هذه الكتب من أحكام وشرائع وأخلاق تتضمن مصالح الخلق دليل على أنها من لدن رب حكيم عليم بمصالح خلقه، ثم ما جاء في هذه الكتب من أخبار كونية شهد الواقع بصدقها دليل على أنها من رب قدير على إيجاد ما أخبر به[٥٤]، وللقرآن العظيم النصيب الأوفى والأكمل من كل ما ذكر لسلامته من التحريف والزيادة والنقصان التي طرأت على التوراة والإنجيل، ومع ذلك بقي فيها من الدلائل ما يؤكد الحقيقة المذكورة، بل مدارها – في الأصل – على إثبات خالق إله عظيم، وإن دخلت التشويهات التحريفية على تفاصيل هذا الأمر.

٢/ المرجعية الإلهية المحرفة.

وهي المرجعية التي يؤمن أصحابها بوجود الله وربوبيته إيماناً يشوبه التحريف والتبديل، لما مازجه من آراء وتصورات باطلة، فأصحاب هذه المرجعية توصف مرجعيتهم بأنها إلهية لأنها تؤمن بالله، وتستند تاريخياً إلى كتب أتى بها أنبياء الله، وتوصف في الوقت ذاته بأنها مرجعية محرفة لما خالطها من أباطيل([٥٥]).

وليس المجال هنا لذكر تفصيلات الانحرافات وأدلة وجودها، بل ولا الدخول في أقسام وطبقات هاتين الديانتين، إذ المقصود ذكر مرجعيتهم التي ينطلقون منها.

وتخصيص اليهودية والنصرانية في هذا السياق وتحت هذا العنوان آت بسبب أصل الديانة، فهي من عند الله أرسل بها رسلاً وأنزل كتباً، وهذا الأصل له اعتباره في التعامل مع أصحاب هاتين الديانتين حتى بعد حصول التحريف، كما هو مقرر في الإسلام من عهد النبوة وما بعدها، كتسميتهم بأهل الذمة وجواز أكل ذبائحهم وتزوج نسائهم، والتحديث عنهم بما يعلم صحته من كتبهم وأخبارهم، وغير ذلك من الأحكام التي خصوا به من بين الكفار.

ولوجود اختلافات كثيرة بين طوائف اليهود والنصارى يصعب تحديد مرجعية واحدة تشمل كل الفرق من كل وجه، لكن يمكن الحديث عن شيء عام مشترك في الجملة.

١- المرجعية عند اليهود:

تقوم عندهم تقريباً على [**الإقرار بوجود الله، وأنه خالق للخلق، ليس له كمال مطلق، وله ولد، وقد اختار الله اليهود أبناء وأحباء، وله تأثير في عالم الغيب والشهادة، وهو غير مستقل عن الخلق، وله تدبير محدود، وقد أرسل لهم رسلاً وأنزل كتاباً هو التوراة وهو آخر الكتب المنزلة، وقد شرحه الأحبار وفسروه بما هو مساوٍ للأصل المنزل**].

هذه – تقريباً – أظهر المعاني التي يكاد اليهود يتفقون عليها من حيث الجملة، إذ من الصعوبة بمكان تحديد مرجعية واحدة شاملة لكل اليهود، وذلك بسبب (غياب التجانس والتعددية المفرطة التي تصل إلى حد التناقض .. (مما) جعل اليهودية تشبه التركيب الجيولوجي التراكمي المكون من عدة طبقات الواحدة فوق الأخرى وبسبب غياب التجانس يكون من الصعب تعريف هوية اليهودي)[٥٦].

ولعل من أسباب التناقض الحاد بين فرق اليهود، ذلك الإطار المرجعي الذي ذكر آنفاً لما ينطوي عليه من تناقضات في ذاته كاعتقادهم أن الله خالق الخلق وهو في ذات الوقت له ولد، إضافة إلى أن ما يسمونه العهد القديم لم يدون إلا بعد نزوله بزمن طويل يقدر بمئات السنين حسب قول مؤرخيهم، ثم ظهور طبقة اليهودية الحاخامية بصلاحياتها الدينية شبه المطلقة أدى أيضاً إلى وجود تناقضات حادة وغموض شديد في بعض المفاهيم[٥٧].

إذا عدنا إلى المرجعية اليهودية المصاغة آنفاً على وجه التقريب فإننا نجد مجموعة من المفاهيم أهمها:

(مفهوم الإله) وهو المفهوم الجوهري والمحوري، فإن اليهود يعترفون من حيث المبدأ بوجود (إله خالق) وفي الوقت ذاته نجد أن (العهد القديم يتحدث عن إله وآلهة أخرى وأصنام)[٥٨].

إضافةً إلى ذلك فهم لا يعتقدون أن لله تعالى كمالاً لا في ذاته ولا في صفاته، فالأله لديهم اسمه (يهوه) وهم يعتقدون أنه يخطئ ويثور، ويقع في الندم ويأمر بالسرقة ويتعب، وله ولد هو عزير، ويده مغلولة، وهو قاس متعصب، مدمر لشعبه، وهو مع كل ذلك هو إله لبني إسرائيل فقط ، فقد اتخذهم أبناء وأحباء لا يعذبهم، وهو عدوٌ لمن سواهم[٥٩].

وهناك مفهوم محوري آخر يتعلق بمرجعيتهم وهو اعتقادهم أن الله تعالى (غير مستقل عن الخلق) أي أن الإله عندهم قد حل في الكون، وهذه الحلولية كامنة في (الإنسان والطبيعة)[٦٠] ومن خلال هذا المفهوم يمكن إدراك معنى قول بعض الباحثين المتخصصين في اليهودية إذ يقرر أن اليهود المتمسكين بدينهم بشدة، وهم قد لا يتجاوزون ٤% من يهود العالم، لا يختلفون في المفهوم الحلولي مع ملايين من اليهود الملحدين[٦١] أو العلمانيين، إذ يلتقون في هذا المفهوم المحوري (الحلولية).

وبناء على أنهم يرون أن الله (قد اختار اليهود وفضلهم على العالمين) انبثقت المفاهيم والمنطلقات العنصرية المتحيزة، بل لعل هذا هو أحد الأسس

الجوهرية للفكر العنصري والممارسات العنصرية بالغة التطرف مع (الأغيار) وهو كل من عداهم[٦٢].

وبناءً على أنهم يعتقدون أن الله تعالى (له تدبير محدود) في الخلق كوناً وأمراً انفسح المجال أمام علمائهم ليكتبوا ويضيفوا ويعدلوا في نصوص التوراة، إضافة إلى الشروح والتغيرات المدونة في (التلمود) أو غيره، وفيها جميعاً تحريف للكلم عن مواضعه ولبس للحق بالباطل وافتئات على الله تعالى، وتشريعات وأحكام مختلقة لا يمكن أن يفوه بها نبي الله (موسى) عليه السلام.

إضافة إلى ذلك فإنهم بتحريفهم هذا واعتقادهم محدودية علم الله ومحدودية حقه في هداية الناس والتشريع لهم سوغوا ومهدوا للمادية المعاصرة والعلمانية والإلحاد. وبناء على هذه المرجعية المنحرفة يمكن في سياقها فهم أسباب عبادة العجل وتقديس الأفعى، وقول بعضهم بالتناسخ، وإنكار بعضهم للبعث والخلود والثواب والعقاب الأخروي، ومن قال منهم بالبعث والمعاد فإنه يخص اليهود بالجنة، وعلى افتراض أن أحداً من اليهود سيدخل النار بسبب جناياته في حق اليهود أو غير ذلك، فإنه لا يبقى في النار إلا أياماً معدودة[٦٣].

٢- المرجعية عند النصارى:

كما سبق عند الكلام عن مرجعية اليهود، فإن النصرانية تختلف فيما بينها اختلافا كبيراً في أصل الدين وفي طبيعة المسيح عيسى ابن مريم عليه وعلى أمه السلام، وهل الله واحد أم ثلاثة، ومع ذلك فهم أقل من اليهود في مسألة التعددية المفرطة التي تصل إلى حد التناقض، ولكنهم لم يصلوا إلى درجة أن يكون لهم حد أدنى – كما في الإسلام – يمكن عن طريقه التفرقة بين المسلم وغير المسلم.

ومع كل ذلك يمكن صياغة مفهوم عام للمرجعية النصرانية يشتركون فيه من حيث الجملة، وإن لم يتفقوا فيه من كل وجه، وهذا المفهوم العام يتمثل في: [**الإقرار بوجود الله، وأنه خالق للخلق ومالك لكل شيء، وله ولد هو المسيح، وهو الأب أحد الأقانيم الثلاثة، التي هي وحدانية في تثليث، وتثليث في وحدانية، فهو غير مستقل عن الخلق، ولشدة حبه للبشر ضحى بوحيده عيسى على الصليب الذي أرسله ليخلص**

العالم من إثم خطيئة أبيهم آدم وخطاياهم، وفي الحساب الأخروي سيتولى عيسى هذا الأمر معاوناً لله تعالى.

وما أضافه الرهبان على الإنجيل والرسائل المنسوبة للرسل يعد جزءاً من الدين؛ لأن للرهبان عندهم حق التشريع والنسخ والإضافة والحذف].

هذه – في الجملة – هي أظهر المضامين المرجعية للنصارى، مع التنبه إلى وجود اختلافات تفصيلية في كثير من مفاهيم هذه المرجعية بسبب كثرة الفرق التي يكاد يضمها ثلاثة مذاهب رئيسية هي (الأرثوذكسية والكاثوليكية والبروتستانتية) ويمكن تشبيهها بالثوب المكون من قطع عديدة بألوان وأحجام مختلفة.

هذه المرجعية المذكورة تحتوي على جملة مضامين مركزية لها امتدادات فكرية وعملية كبيرة ذات تأثير.

ومن المفاهيم الجوهرية في النصرانية امتزاج الإله بالخلق واحتياجه إليهم، فالابن ينجبه من يحتاج إلى البنوة ويفتقر إلى عونها، وهذا المفهوم (الحلولي) (التثليثي) – وهو وثني في الأصل – سيكون له أعظم الأثر في قضايا عديدة ، منها (الحلولية المادية الغربية) التي توافقت مع هذا المفهوم، ثم هنالك مفاهيم الخطيئة والصلب والفداء وما تتضمنه من وصف لله تعالى بالعجز والظلم والتناقض، والتي أفضت أيضاً إلى نتائج أخلاقية ومعرفية مفعمة بالسلب والتناقض.

أما اتخاذ الرهبان أرباباً يشرعون ويضيفون ويحذفون فإن هذا أدى إلى كثرة الأديان في داخل دين واحد، وكثرة النسخ الإنجيلية التي لا تسلم من تنقيح وإضافة بين فترة وأخرى، إضافة إلى هالة القداسة التي اكتسبها الرهبان فشرعوا التعميد والاعتراف وأكل أموال الناس بالباطل وشحن أذهانهم وقلوبهم بالأباطيل، إضافة إلى الامتيازات المالية والاجتماعية، والحرب الشرسة ضد العلوم الطبيعية والاكتشافات التجريبية، مما أوجد ردة فعل قوية تمثلت في ظهور المادية بكل تجلياتها العلمانية والليبرالية والمذاهب الإلحادية[٦٤].

وهكذا نرى أن هذه المرجعية المنحرفة لم تسئ إلى أتباع ديانتها فحسب بل أساءت إلى العالم بأسره.

٣- المرجعية الوثنية:

نظراً لتعدد الأديان الوثنية واختلافاتها الواضحة فيما بينها، فإن من العسير وضع تعريف شامل يضم كل الأديان، غير أنه بالرغم من ذلك توجد مجموعة من المفاهيم المشتركة التي يمكن بناءً عليها وضع وصف تقريبي للمرجعيات الوثنية، وخاصة الأديان الوثنية المنتشرة في هذا العصر[٦٥] وقد اختُلف في تحديد معنى (الوثنية).

فمنهم من خصها بمن يعبد الأوثان مع اعترافهم بوجود الله الواحد الخالق ليتوصلوا بعبادتها إلى الله تعالى[٦٦].

وعلى هذا المعنى درج كثير من علماء الإسلام كما هو موجود في كتب التفسير عند قوله تعالى (إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً)[٦٧] وذلك على أصل الإطلاق عند مجيء الإسلام، فقد كان كفار العرب الذين بعث فيهم النبي محمد صلى الله عليه وسلم يؤمنون بوجود الله وأنه خالق قادر ويستحق أن يعبد ويدعى ولكنهم مع ذلك اتخذوا (الأوثان) آلهة معه لتقربهم إلى الله، وليتوصلوا من خلال عبادتها ودعائها إلى ما يريدون من الله ولذلك سموا وثنيين بهذا الاعتبار.

ثم أصبح لفظ الوثنية يشمل كل طائفة تقول بتعدد الآلهة وإن ميزت بينها في الصفات الإلهية التي تنسبها لها[٦٨].

وأحيانا يطلقه بعض النصارى على الناس الذين لم تصلهم الدعاية الدينية النصرانية[٦٩] وهو إطلاق متحيز وغير علمي ولا منطقي، وفي الدراسات الحديثة اعتبرت الوثنية هي: تلك الذهنية البدائية التي تشخص العناصر والأشياء والجمادات وتجعل لها قوى معينة وتنسب لها صفات مؤثرة تجعلها مقدسة[٧٠].

ولعل هذا المعنى هو الأوسع دلالة، والأنسب لما نحن بصدده هنا، وعليه فالمرجعية الوثنية هي:

[الإقرار بإله أو عدة آلهة وضعية حلولية، لها قداسة، وتمتلك صفات وقدرات عظيمة وإن كانت متفاوتة، ولها حقوق عبادية وأخلاقية وتشريعية ملزمة غيباً وشهادة، ضمن المسار اللانهائي لهذه الحياة].

هذه المرجعية التقريبية للأديان الوثنية، هي وإن لم تكن في صياغتها جامعة مانعة (بسبب التفاوت بين الأديان الوثنية) إلا أنها في الوقت ذاته تشخص أهم المفاهيم الوثنية.

فالأصل في جميع الوثنيات أنها (أديان وضعية) وضعها بعض أذكياء الناس، ورسم خطوطها الأولى ثم تطورت وتحولت مع الأزمان، وحتى على افتراض صحة ما يقال من أن بعض الديانات الوثنية ذات أصل سماوي، فإنها في الواقع الراهن ليست سوى أديان وثنية وضعية، فضلاً عن أن دعوى كون أصل تلك الأديان سماوية لا دليل عليه إلا مجرد الاستنباط من بعض التعاليم الخلقية والتشريعية، وهذا غير كاف في إثبات هذه الدعوى.

ومما تختص به الديانات الوثنية تعدد الآلهة، حتى وإن وجد إله واحد هو أكبر الآلهة، بل حتى وإن كان بعضهم يقر بوجود إله في السماء، وهذه التعددية الإلهية سمة أساسية في معظم الديانات الوثنية القديمة والحديثة من عهد اليونان والفراعنة وحتى هذا العصر، يضاف إلى ذلك أن هذه الآلهة المؤلهة تمتاز بالحلولية، إما من جهة زعم بعضهم إن الإله الذي في السماء (سبحانه وتعالى) قد حل في إلههم الأرضي (الوثن) أو أن الإله الأكبر عندهم حل في الآلهة التي دونه، وهذا ما يمكن تسميته بالحلولية الخاصة، وهناك حلولية وثنية عامة، ومثالها في الطاوية التي يقول أصحابها بأن طاو هو المطلق الكائن، وهو مراد الكون، وهو ليس منفصلاً عن الكون بل هو داخل فيه دخولاً جوهرياً انبثقت عنه جميع الموجودات حتى أصبح الوجود واحداً، وصار الخالق والمخلوق شيئاً واحداً لا تنفصل أجزاؤه وإلا لاقى الفناء)[٧١] ويوجد نحو هذا في الهندوسية[٧٢].

أما البوذية فهي قريبة من النصرانية في هذا الأصل، فقد زعموا أن بوذا هو ابن الله وهو المخلص للبشرية ويتحمل جميع خطاياهم، وأن تجسد بوذا قد تم بواسطة حلول روح القدس على العذراء مايا[٧٣].

وهكذا نرى أن الحلولية والتعددية سمتان بارزتان في المرجعية الوثنية، وقد كانت كذلك حتى في الوثنية اليونانية، مما جعل بعض الكتاب المحاكين للغرب يشيدون بالتعددية الوثنية باعتبارها أساساً للتعددية الفكرية والسياسية، في حين أن التوحيد في اعتبارهم أساس للتعصب والتخلف والرجعية(٧٤) كما أن المفهوم الحلولي الوثني انتقل إلى اليهودية في بعض طبقاتها(٧٥) وأصبحت الحلولية ووحدة الوجود جزءاً رئيسياً من الفكر المادي الغربي اليوم وأضحت الحلولية المادية المرجعية شمولية يؤكد أصحابها أنها علة الحياة ، ويؤمنون بأبدية المادة وبتلقائية تكاثر الحياة [٧٦].

ومن المفاهيم الرئيسية في المرجعية الوثنية: الاستسلام العبادي والأخلاقي والتشريعي لأوثانهم المؤلهة، بغض النظر عن التفاوت في درجات ذلك بين الوثنيات المختلفة، وهذا ما يؤكد أن المرجعية ليست مجرد صورة ذهنية معزولة بل هي أساس فكري اعتقادي ومنطلق عملي؛ ولذلك يخضع أتباع هذه الوثنيات لتعاليمها العبادية في حالة الإنفراد استحضاراً للطاعة الغيبية، التي سيكون من ثوابها حصول السعادة الدنيوية أو طول العمر كما تطمح إليه الطاوية، أو حصول النفع أو دفع الضر، كل ذلك ضمن إطار الحياة الراهنة، إذ لا تؤمن الوثنيات بالبعث بعد الموت والمعاد إلى الله تعالى، وتحصر الحياة في هذه الدنيا باعتبارها مساراً زمنياً لا نهائياً، وهذا المعنى تسرب أيضاً إلى منظري وفلاسفة المادية الغربية.

٤- المرجعية المادية:

المادية منسوبة إلى المادة، وهي اسم فاعل للمؤنث، ومادة الشيء هي ما يحصل الشيء معها بالقوة[٧٧]، أو كل شيء يكون مداداً لغيره، وتطلق أيضاً على كل جسم ذي امتداد ووزن[٧٨]، ولعل أشمل من ذلك أن المادة هي ما يشغل حيزاً من الفراغ.

والمادية اتجاه فلسفي وضعي[٧٩] له نفوذ كبير وسيطرة على علوم كثيرة وممارسات عديدة، ويقوم هذا الاتجاه على أساس أنه لا وجود لأي جوهر غير المادة، وعليه تقوم المرجعية المادية التي هي المرتكز الجوهري لكل الفلسفات والنظم والمناهج والمدارس والممارسات الغربية الدنيوية (العلمانية) على اختلاف توجهاتها وتنوع وتضاد مضامينها ومسمياتها، إلا أنها تلتقي في المرجعية المادية بوصفها المركز والمقر الثابت الذي تتشعب منه الفروع، وهي بذلك تعتبر الأساس والمطلق والمبدأ الأول لدى المؤمنين بها، وهذا ما سيوضحه التعريف التالي للمرجعية المادية.

[**الإيمان بأن المادة وحركتها أزلية ذاتية الوجود، لا تفنى ولا تستحدث من العدم، ولها قوانين آلية كامنة فيها تخضع لها كل الموجودات خضوعاً حتمياً، وبها وحدها يمكن تفسير الوجود والسلوك وحركة الكون والإنسان والحياة، التي هي في تغير مستمر، وصيرورة دائمة، وعلى وفق الوحدانية المادية توضع النظم والقيم وتقام العلاقات والمذاهب والمناهج والاتجاهات**].

هذه هي أهم المفاهيم المادية التي تصدر عنها الفلسفات والمذاهب الغربية المعاصرة، والتي أصبح لها السيادة الفكرية والسلوكية والعملية على مجمل الحياة الغربية والتي يسعى الغرب في نشرها في كل العالم باعتبارها تقدماً ونهضة وحضارة، فكل من قال بذلك فهو مادّي المذهب، وإن آمن بغيب ما، ويندرج في هذا الاتجاه من قال بهذه المفاهيم أو بعضها من المنتسبين إلى الإسلام أو غيره من الأديان، وإن كان في ممارساته الشخصية يتبع تعاليم دينه، على أن هذا الصنف أقل غلوّاً في المادية من صرحاء المؤمنين بها من الملاحدة واللادينيين، وهو في الوقت ذاته ربما كان أشد تأثيراً في ترويج المادية والدعوة لها؛ لما يتلبس به من ديانة، وما يمارسه من عبادة، وخاصة بين المسلمين، فينخدع به أناس ليست لديهم القدرة على معرفة المفاهيم والمضامين المادية، وليس عندهم من العلم ما يدفع الشبهة أو يزيل الالتباس.

وعند التأمل في مضامين هذه المرجعية وتفكيكها إلى عناصرها الأولية سنجد أنها تضم مجموعة من المفاهيم الكبرى وأهمها:

(**الإيمان بأن العالم كله مادة**) وهذا يشمل عدة قضايا كبرى:

١- اعتبار المادة هي الحقيقة الوحيدة، وعليه فكل موجود فهو مادي، أو يعتمد كلية في وجوده على المادة.

٢- أن كل ما يبدو وكأنه ليس مادة مثل الروح والعقل والنفس والوجدان وما يتبع ذلك من ظواهر نفسية أو أخلاقية أو اجتماعية أو اقتصادية إنما هي في واقع الأمر مادة، وإنما يفسرها الوجود المادي، لأن كل التغيرات لها سبب مادي، ولذا فإن التفسيرات المادية – عند أصحابها – هي وحدها الممكنة والصحيحة.

٣- أن الواقع الموضوعي يتكون في حقيقته من مركبات مادية متناهية في الصغر من حيث الحجم، ومتحركة حركة دائبة، وكل ما في الوجود فهو إما هذه المركبات بذاتها، أو أشياء مكونة منها أو علاقات بينها، وما عدا ذلك فلا وجود حقيقي له.

أما (**الإيمان بأزلية المادة واعتبارها ذاتية الوجود**) فهو مفهوم (مطلق) قائم على أساس أن المادة علة ذاتها ومكتفية بذاتها، ولا تخضع لأية قوة خارجها، ولا يوجد سبب أو محرك خارج الكون لأن (المادة) عبارة عن نظام واحدي مغلق مكتف بذاته، توجد في داخله مقومات حياته وحركته، بل ويحتوي في باطنه على كل ما يلزم لتفسيره وفهمه، وهذا النظام المادي الأزلي ضروري كلي شمولي تنضوي كل الأشياء تحته ولا يمكنها أن تخرج من قبضته.

أما كون (**حركتها أزلية**) فهذا أصل ومنطلق القول بالصيرورة الدائمة وأنه لا ثبات مطلقاً، فكل شيء في حالة تغير مستمر، ضمن المسار اللانهائي للحياة.

أما كون (**المادة لا تفنى ولا تستحدث من العدم**) فهو في مقتضيات الإيمان بأنه لا وجود لجوهر غير المادة ، ومن لوازم الاعتقاد بأزلية المادة ، ولكن تخصيص هذه العبارة يأتي غالباً في سياق إجابة الماديين[٨٠]على سؤال من يسأل

عن أسباب تغير الظواهر المادية وتبدلها وتنوع تجلياتها، ومن يسأل عن عدم حصول النتائج رغم وجود الأسباب المادية الموجبة للنتيجة، ومن يتحدث عن تنوعات السلوك الإنساني بأشكال غير متوقعة.

وتأتي عبارة (المادة لا تفنى ولا تستحدث من العدم) أيضا عند الحديث عن (الطاقة) بوصفها – عندهم – مادة مرتبطة بشبكة سببية صلبة مترابطة شاملة مكتفية، ليست في حاجة إلى من يوجدها من العدم؛ لأنها بذاتها (جوهر مطلق) غير معتمدة على من يوجدها أو هو يعطيها الحركة والفاعلية، فحركتها وفاعليتها في ذاتها، وهي حركة دائبة مستمرة أبدية لا يتطرق إليها الفناء، وهذه مفاهيم مادية بحتة وإن حاول بعض المتأثرين تلميعها بتفسيرات تضفي عليها نوعاً من القبول.

أما كون المادة (**لها قوانين آلية كامنة فيها تخضع لها كل الموجودات خضوعاً حتمياً**) فهذا نتاج القول بأن الواقع الموضوعي للكائنات سواء أكانت أجساماً جامدة أو كائنات حية أو جماعات بشرية لها طبيعة مركبة من لبنات مادية، وهذا التركيب محكوم بقوانين ذاتية آلية مطردة وحتمية، ولذلك وجب أن يبحث الناس عن تفسير لكل الظاهرات والتجليات النفسية والاجتماعية والحيوية والفيزيائية في أسباب ضمن هذا الكون المادي فقط، لأن هذا الكون وما فيه مكتف بنفسه غير محتاج إلى قوة خارجية تخلقه أو تدبر أمره أو ترسم مساره.

وبناءً على ذلك فإن الطبيعة أو المادة وقوانينها لا تكترث بالإنسان ولا تحتفل بخصوصيته أو تميزه عن بقية الكائنات، وليس لها علاقة بأحزانه وآماله ومشاعره، لأنه ليس سوى جزء لا يتجزأ من المادة أو من الطبيعة، وهو خاضع حتماً لقوانينها الجبارة التي يجب أن يرجع إليها الإنسان ويعاد تفسيره كاملاً من خلالها.

وهذا هو معنى أن القوانين المادية (**بها وحدها يمكن تفسير الوجود والسلوك وحركة الكون والإنسان والحياة**).

ذلك أن هذه المرجعية المادية وُضعت لتكون رؤية شاملة للكون والإنسان والحياة بكل المستويات وفي كل المجالات، وهي حينما آمنت (بالمطلق المادي)

استبعدت وجود خالق، وحتى مع الإيمان بوجوده فإنها تستبعد تدبيره وحقه في أي تشريع أو نظام.

وعلى هذا المبدأ يرى الماديون أن كل ظاهرة خارقة لقوانين الطبيعة فهي إما كذب أووهم لا أساس له، أو لا بد من وجود قانون طبيعي مادي لم يكتشف بعد، وكل تفسير للظواهر النفسية أو الاجتماعية أو الكونية بأسباب خارج الإطار المادي لا يعتبرونه تفسيراً علمياً، أي أن التفسير العلمي هو بالضرورة تفسير مادي إلحادي، حتى أن كلمة (العلم) و(المواد العلمية) أصبحت وصفاً لهذا النوع من التصور، وبذلك سهل عليهم المقابلة بين العلم والدين، وانخدع كثير من الناس بذلك.

أما كون(**حركة الكون والحياة في تغير مستمر**) فهو تعبير عن مبدأ (الصيرورة) الذي يعني (التغير في ذاته من حيث أنه انتقال من حال إلى حال أخرى، ويقابل الثبوت والسكون)[٨١].

وهذا ما سبق الإلماح إليه في أول تعريف المرجعية المادية: بأن المادة وحركتها أزلية ذاتية الوجود، ثم أعيد هنا لخصوص مفهومه، ولكونه أحد أهم أركان المرجعية المادية، وهو قائم على أن الوجود في صيرورة دائمة وتغير مستمر وليس له غاية ينتهي إليها، بل الصيرورة غاية في نفسها وحتمية، وهي كل شيء ولاشيء وراءها، وهذا المبدأ يتضمن نفي الثبات مطلقاً والقضاء على فكرة الخلود، وزعزعة كل شيء كان راكزاً من قبل، والسعي لتحطيم كل ما كان راسخاً عند الإنسان تحت معاول الصيرورة، وخاصة الدين والأخلاق ومعايير العدل والخير والحق وإنسانية الإنسان.

إن الصيرورة هي الأم الحقيقية لفكرة (النسبية المطلقة)[٨٢] التي تولد منها جملة من الأفكار والنظم الليبرالية المعاصرة.

إن مفهوم (التغير المستمر) يتوافق مع أصل الإيمان بمطلقية المادة واستقلالها وذاتية قوانينها، وهو مفهوم قوامه التطور المطلق المرتبط أصلاً باعتقاد أبدية الحياة الدنيا واستحالة الحياة الأخروية، ومن هذه الافتراضية تدافعت كل

النظريات والمذاهب والأفكار والاتجاهات الحديثة معتمدة على صدق فرضية (داروين)[٨٣] في النشوء والارتقاء[٨٤] وفي مقدمتها التفسير المادي للتاريخ[٨٥] وعناوينه المتعددة كالمادية الاقتصادية[٨٦] والمادية التاريخية[٨٧] والمادية الجدلية[٨٨].

والمذهب الطبيعي في الفلسفة[٨٩] والمذهب العقلاني[٩٠] والوضعية[٩١] والوجودية[٩٢] ولا يقتصر الأمر على المذاهب ذات الاتجاه الإلحادي بل حتى المذاهب الأخرى التي لا تعلن الإلحاد وهي ضمن هذا المسار أيضاً.

أما مفهوم (**الوحدانية المادية**) فالمراد به الاعتقاد بمبدأ واحد هو وحده مصدر الكون ومرجع وحدته وتناسقه، والضابط لنظامه، وهذا المبدأ الواحد يعلو على كل شيء ولا يعلو عليه شيء، وهو في هذه المرجعية قوة مادية خالصة موجودة في المادة وجوداً (حلولياً)، وبذلك يمكن إدراك ثلاثة مفاهيم ينطوي عليها هذا المعنى:

أولاً: تأليه المادة وإضفاء صفة الربوبية إليها.

ثانياً: جعلها في حالة (حلول) دائم أو (وحدة وجود دائم) أي أن (العالم لا يسلتم إلا بوجوده ويرد كل شيء إلى المادة فهي حية بذاتها، وعنها نشأت الكائنات جميعها وهذه وحدة مادية)[٩٣] تقوم على أن كل ما في الكون مكون من جوهر واحد مكتف بذاته.

ثالثاً: أن العالم والإنسان مستغن عن أية قوة خارجية، ولذلك أصبح من حق الإنسان أن يضع لنفسه من النظم والأخلاق ما يتسق مع النظام المادي، في تسوية كاملة بين الإنسان والكائنات الطبيعية من حيث إلغاء التميزات الإنسانية (الروح العقل العاطفة) أو تفسيرها تفسيراً داخل إطار (الوحدانية المادية) التي يؤمن بها الماديون[٩٤].

أما كون المرجعية المادية قاعدة بناء، عليها (**توضع النظم والقيم وتقام العلاقات والمذاهب والمناهج والاتجاهات**) فقد سبق الإلماح إلى ذلك عند ذكر

الماركسية والوجودية والوضعية بوصفها أمثلة فقط، وإلا فإن جميع النظم والمبادئ والدساتير الحاكمة في الغرب لا تخرج من هذا الإطار، وكذلك معظم مناهج التفكير والتربة والإعلام، مما يزيد التأكيد على أثر المرجعية في حياة الناس وعلاقاتهم وسلوكياتهم ومعظم نظم حياتهم.

القسم الثاني: المرجعية باعتبار مصادرها وأدلتها ومستنداتها:

بالرغم من كون المرجعية هي الإطار الكلي والأساسي الذي يرتكز عليه كل مذهب أو منهج أو طريقة علمية، إلا أنها في الوقت ذاته لا بد أن تستند إلى مستندات تثبتها وأدلة تؤيد وجودها وبراهين تؤكد استقرارها في نفس المعتقد لها.

وقد يقال بأن (المرجعية) حقيقة كلية فكيف تحتاج إلى برهان أو دليل جزئي وهي التي يؤول إليها الدليل؟

ويجاب عن ذلك بأن (المرجعية) بوصفها تضم مجموعة من المعاني الكلية التي تقوم بالذهن، يصبح وجودها ثابتاً يؤول إليه الجزئي والفرعي، وهي عبارة عن تصور عقلي كلي يدرك به صاحب القدر المشترك الكلي بين المتشابهات، والفوارق المنافية أو المناقضة لهذا التصور، وهي كليات عقلية إدراكية لابد لها من أدلة، ويزيد اليقين بها وينقص حسب قوة الأدلة وضعفها.

وليست مثل الكليات المجردة كالإنسانية المطلقة والحيوانية المطلقة والوجود المطلق(٩٥).

إن (المرجعية) أياً كانت هي من جنس الإيمان، فكما أن الإيمان له وجود كلي في الإنسان يقوى بالبراهين والأعمال المناسبة له، ويضعف بالجهل والأعمال المضادة له، فكذلك المرجعية لها أدلتها التي توجدها أصلاً، ثم أدلة أخرى تغذيها وتقويها، مثل الشجرة التي لابد لها من بذرة تنشأ منها، ثم تستغني عنها الشجرة، وتحتاج إلى أمور أخرى لنموها كالماء والشمس والتربة الصالحة.

(المرجعية) – كما سبق – هي الإطار الكلي والأساسي المنهجي المستند إلى مصادر وأدلة معينة لتكوين معرفة مّا.

والمعرفة هي حصول العلم بالشيء في نفس الإنسان[٩٦]، ولست أعني أن المرجعية هي المعرفة بل هي أعلى درجة منها، فقد يعرف الإنسان شيئاً ولا يكون مرجعيةً له، مثل معرفة المسلم أن النصارى يثلثون والشيعة يسبون، ولكنه في الوقت ذاته لا يمكنه اتخاذ مرجعية مّا دون معرفة وإدراك،وهذا يقتضي وجود أدلة لهذه المرجعية، وبالنظر إلى أقسام المرجعيات المذكورة سابقاً يمكننا ذكر المستندات الرئيسية لكل قسم على وجه الإجمال:

١- مصادر وأدلة المرجعية الإلهية الصحيحة:

سبق شرح ذلك وهي إجمالاً ما يلي:

١- الوحي الصحيح المنزل من عند الله تعالى (القرآن وصحيح السنة).

٢- العقل.

٣- الحس.

٤- الفطرة القويمة.

٢- مصادر وأدلة المرجعية الإلهية المحرفة:

أ- الوحي الصحيح والوحي المبدل، ذلك أن التوراة والإنجيل دخلهما التحريف والتبديل، وفيهما ما هو صحيح، والميزان في ذلك القرآن والسنة.

ب- العقل، حيث يوجد لدى النصارى محاولات لإثبات التثليث بالعقل، وكما أن اليهود يحاولون إثبات عنصريتهم بالعقل، والأدلة العقلية التي يستدلون بها إما أنها صحيحة واستدلالهم بها باطل، أو أنها باطلة من أصلها، وفلاسفة اليهود[٩٧] والنصارى[٩٨] كانوا عيالاً على الفلسفة اليونانية في أكثر أحوالهم.

ج- الأحبار والرهبان، حيث تحولت أعمالهم وأقوالهم إلى أدلة يستند إليها، فكتبوا نصوصاً أضافوها للكتابين المنزلين، وأضافوا أياماً وأعياداً وطقوساً

عبادية، وأحلوا لهم الحرام فأطاعوهم، وحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم، وبذلك كله تحولوا إلى (أرباب)[٩٩] يشكلون أساساً صلباً في المرجعية الإلهية المحرفة.

د- الحس وذلك بمخادعته عبر الخوارق والأمور الغريبة الناتجة عن رياضات روحية وبدنية، أو عن طريق الخداع، أو بمعونة من قرنائهم من الجن.

٣- مصادر وأدلة المرجعية الوثنية:

١- النصوص المنقولة عن رؤوس هذه الديانات الوثنية، مثل كتاب (الفيدا) عند الهندوس[١٠٠] وكتاب (طاو – تي – تشينغ) الذي ألفه مؤسس الطاوية (لوتس)[١٠١]، و(مجموعة الخطب التي ألقاها بوذا)[١٠٢].

٢- السدنة والكهنة، الذين يمثلون الطقوس العبادية، ويفسرون الكتب، ويشرحون الديانة.

٣- العقل، نجد أن بعض الوثنيات مختلطة بآراء فلسفية وقياسات عقلية عن الكون والحياة مثل البوذية[١٠٣] والكونفوشيوسية[١٠٤] والطاوية[١٠٥] ويكفي دلالة على أن الديانات الوثنية تستعمل أدلة العقل، ما كان عليه فلاسفة اليونان من فلسفات ونظر عقلي مع تلبسهم بالوثنيات، بل تسخير العقل لخدمة الخرافة الوثنية[١٠٦].

٤- الحس، وذلك بإظهار بعض الخوارق والعجائب الصادرة عن رياضات نفسية وبدنية، أو عن طريق الإيهام والتخييل، أو بمساعدة الشياطين، فيظن العامة وأشباههم أن هذا دليل على صحة تلك الديانة الوثنية.

ومما يلحظ هنا وفي المرجعية الإلهية المحرفة أن كل صاحب دين يحاول دعم (مرجعيته) بأدلة عقلية، ويبذل في سبيل ذلك شتى الطرق؛ لإثبات أن دينه صحيح موافق للعقل، حتى وأن كان يعبد بقرة أو تمثالاً أو صليباً، وهذا النوع من الاستدلال يدل على عدة أمور:

١- أن كل صاحب مرجعية يحاول تثبيت مرجعيته بكل طريقة ممكنة.

٢- أن الاستدلال بالعقل لا يدل على صحة القضية المستدل عليها، وهنا لابد من التفريق بين الدليل الصحيح والدليل الباطل، إذ من البديهي أنه لا يمكن أن يوجد دليل عقلي صحيح يدل في وقت واحد على إلوهية الله تعالى، وإلوهية بوذا أو البقر أو أي وثن آخر.

إذن فليس وجود الدليل العقلي كاف في صدق القضية وصحتها، بل لا بد من صحة الدليل وصحة الاستدلال به، ولذلك انقسمت الأدلة العقلية إلى عدة أقسام منها (الصحيح والفاسد) و (الدليل المتسق) و (الدليل المحال) كما انقسمت دلالاتها إلى قطعية وظنية ووهمية.

٤-مصادر وأدلة المرجعية المادية٠

بعض المختصين في دراسة المادية قسم المادية في مستنداتها إلى قسمين :

الاول: المادية الصلبة وتستند إلى العقل الإنساني مطلقا ،أي أنها تستند إلى العقلانية المادية المطلقة، ومعناها أن العقل مستقل بذاته ،قادر على إدراك الكليات،و قادر على التفاعل مع الطبيعة بشكل فعّال، والوصول للقوانين الكامنة في المادة، وتجريدها على هيئة قوانين عامة، يمكنه من خلالها أن يطوّر منظومات معرفية وأخلاقية، ودلالية وجمالية تهديه في حياته، وعلى أساسها يفهم ماضيه وحاضره ومستقبله،ويفسر ما يحدث، دون حاجة لوحي أو غيب خارجي، فالواقع عند أصحاب هذه المادية واقع كلّي متماسك مترابطة أجزاؤه برباط السببية الصلبة، والعقل يدرك هذا الكلّ المتماسك الثابت، ويدرك أن حركة الأجزاء ليست إلا تعبيرًا عن هذا الكلّ الثابت الموجود في الواقع[١٠٧].

الثانية: المادية السائلة وهي التي ينفي أصحابها الاستناد إلى أي شيء ثابت لا عقل ولا غيره، فهي مادية تخضع للصيرورة الدائمة، كما تلغي كل الثنائيات والحدود والكلّيات والثوابت، وأي شكل من أشكال الصلابة، وهي ترفض فكرة الأساس؛ لأن فكرة الأساس في ذاتها-عندهم- هي جوهر الميتافيزيقيا[١٠٨]، وهم يعتبرون أن المادية في حقيقتها ما قامت إلا لتكون ثورة ضدّ الميتافيزيقيا، سواء

كانت الميتافيزيقيا الإيمانية ، أو الميتافيزيقيا المادية التي فيها نوع إيمان بالثبات والتجاوز والإنسانية، وتؤمن بقدرة العقل على إدراك الواقع وتجريد قوانينه.

والمادية الجديدة جاءت لتثور على العقلانية المادية التي قامت عليها المادية القديمة، وأكّدت بمجيئها أن العقل في حالة حركة دائمة وتغيّر مستمر، وهو غير قادر على الوصول للواقع والتفاعل معه؛ لأن العلاقة التفاعلية التبادلية بين العقل والطبيعة، والتي تشكّل جوهر المادية القديمة علاقة غير راسخة(١٠٩).

وعند التأمل في هذه المادية السائلة نجد أنها استندت إلى العقل حتى في نفيها لأي مستند ثابت، فحقيقتها الاستناد إلى العقل وإن نفت مركزيته، وهذا ضرب من السفسطة(١١٠) ، وقول أصحاب المادية الجديدة أشبه بقول السوفسطائين القدامى(١١١) .

القسم الثالث: المرجعية باعتبار تمثّلها واستعمالها:

النوع الأول: تمثّلها قناعة وتطبيقاً:

الأصل في أي مرجعية أن المؤمن بها يتمثلها في أموره وأحواله، ويسير وفقها في شؤونه وقضاياه كلها؛ذلك أنها عبارة عن فكرة جوهرية تشكل أساسا لكل الأفكار بل والممارسات في أي خطاب أو مذهب،وعلة ذلك أنه لا يمكن أن تكون هناك رؤية أو اتجاه بدون مرجعية تُرد إليها الفروع والجزئيات، وما هو أعلى منها،وتعتبر الركيزة النهائية الثابتة في المذاهب والاتجاهات،و تصبح مفهوما مركزيا ظاهرا أو مضمرا،لها تأثير شعوري مدرك في بعض الأحيان،وتأثير كامن مضمر متحكم في كثير من الأحيان ،وإن كان بعض الباحثين يرى أنه تحكم شامل جبري وحتمي في كل الأحوال ، يبد أن المتأمل في سلوكيات البشر يجد أن ذلك لا يتحقق دائماً بهذا الشكل الشامل الدقيق، وذلك لوجود **أسباب تمنع أو تقلل من تمثل هذه المرجعية الظاهرة أو الكمونية**،ومن تلك الأسباب:

١- **الضعف البشري**، الذي يكون من ثمراته الفتور والتهاون، والشك والتردد والملل.

٢- **الصراع بين الإيجابية والسلبية في ذات الإنسان**، فالإيجابية تجعله في حالة اقتناع قوي بالمرجعية وتمثل لها وإرادة وإقدام وفاعلية، في حين أن السلبية تجعله في حالة انكماش وإحجام وربما اضطراب وتخاذل.

٣- **النزاع بين الفردية والجماعية في ذات الإنسان**، فالمرجعية طبيعتها كلية شمولية ذات هيمنة جماعية، والإنسان فيه نزعة جماعية بها يشارك الآخرين ويشترك معهم في أصل الهوية والمرجعية ومقتضياتها، وقد يصل به الحال إلى التضحية والفداء من أجل ذلك، وفي المقابل هناك نزعة فردية تحصره في حدود كيانه ورغباته الذاتية وأشواقه الخاصة وتطلعاته الذاتية فينحسر مفهوم (الهوية الجماعية) قليلاً وبالتالي ينحسر الاهتمام بالمرجعية، ثم إذا توسعت النزعة الفردية حتى تصل إلى ذروة الأنانية المفرطة قد يتخلى كلياً عن الهوية والمرجعية، أوفي أحسن الأحوال لا يلقى لها بالاً.

٤- **غلبة الالتزام أو التحرر**.

المرجعية ومقتضياتها الكلية تتطلب الالتزام والتفنيذ، وفي الإنسان ميل طبيعي لأن يلتزم بأمور معينة وينفذها، وهذا أمر فطري في النفوس، لأن الفوضى ليست جزءاً من خلقة الإنسان وإنما يكتسبها.

وما دام في الإنسان ميل للالتزام فإنه من الطبيعي أن يقتنع بأمور، ويؤدي أعمالاً؛ لأنه هو بذاته يريد أن يؤديها ليس لأنه ملزم بها من غيره، فإذا كانت الهوية والمرجعية راسخة وقوية في النفس فإن الالتزام سيكون هو الغالب.

أما إذا كان التحرر بمعناه (الإيجابي أو السلبي) هو الأغلب فإن الرغبة في التفلت من قيود المرجعية والهوية سيكون هو الأظهر، بحثاً عن هوية ومرجعية جديدة، ليدخل مرة أخرى في دوامة الالتزام أو التحرر، وهكذا دوليك إلى أن يثبت

ملتزماً بشيء معين، ولو كان هذا الشيء هو الالتزام بالفوضوية أو النسبية المطلقة وعدم الثبات على شيء.

٥- اللذة والألم:

وهما قوتان فطريتان متقابلتان محركتان للفعل والترك عند الإنسان، وهما مرتبطتان بكثير من النزعات الفطرية في الإنسان، فكل حي إنما يعمل لما فيه تنعمه ولذته، ويبتعد عما فيه ألمه وعذابه[١١٢] وهذا ينطبق على أشياء كثيرة، ومنها المرجعية، فعندما يحس الإنسان أن هذه المرجعية تحقق له اللذة العلمية أو العملية أو السلوكية (سواء أكانت دنيوية أو أخروية أو هما معاً) فإنه يأخذها، سواء أكان إحساسه صحيحاً أو باطلاً، عن قناعة أو عن تقليد ومجاراة، وكذلك عندما يحسن أن هذه المرجعية تحقق له ألماً فإنه يتركها بحثاً عن غيرها.

٦- المنفعة والمضرة:

وهما النتيجة التي يحصلها الإنسان من جراء اختياراته، والإنسان يميل بالفطرة إلى ما ينفعه ويتجنب ما يضره، وهذا مرتبط بما سبق في اللذة والألم، إذ المنفعة لذة وتنعم، والمضرة ألم وأذى، من حيث الأصل.

فإذا كانت المرجعية التي يؤمن بها الإنسان تحقق لها المنفعة (في تصوره) مال إليها والتزم بها، وإذا كانت (في تصوره كذلك) تجلب له الضرر تخلى عنها وتخلص منها.

٧- الخير والشر:

وهما مفهومان متغيران – لا في واقعهما – ولكن في تصورات المرجعيات المختلفة عنها، فالمرجعية المادية – مثلاً - ترى أن القيم الأخلاقية والاجتماعية نسبية ومتطورة وغير ثابتة، فإذا كان العدل اليوم خيراً، فإنه قد يصبح غداً من أقبح الشرور، وإذا كان رباط الزوجية في الإسلام من الأمور الخيرة، فهو عند كهنة البوذيين وأحبار النصارى من الشرور، وإذا كانت المعاشرة والمخالطة بين البالغين

من الفتيان والفتيات من المنكرات المحرمة في الإسلام، فهي في العلمانية من التحرر الخيّر المطلوب، وهكذا، وعلى الرغم من ذلك فإن للخير والشر حقيقة في الواقع، وليس هذا مجال الحديث عنه هنا، بل المراد أن المرجعية التي يقتنع صاحبها أنها تجلب له خيراً وتدله على الخير وتبعده عن الشر وتحذره من الشرور فإنه يأخذ بها ويلتزمها ويحرص عليها، إذا كان هو في ذاته يبحث عن الخير ويتجنب الشر، أما إن كان لا يبالي في أي وادي سلك، أولم يجد في مرجعيته ما يجلب له الخير أو يدفع عنه الشر لا علماً ولا عملاً فإن استمساكه بالمرجعية سيضعف وينحل.

٨- وثاقة أدلة المرجعية:

كلما كانت المرجعية أقوى دليلاً وأكثر تنوعاً وثراء في الأدلة كلما كان ذلك أدعى للالتزام بها وتمثلها في الحياة، وكلما كان دليلها ضعيفاً أو كان محصوراً في أنواع قليلة كلما كان ذلك أدعى لقلة الاستمساك بها وضعف الأخذ بمقتضياتها، وهذه القوة أو الضعف في أدلة المرجعية قد تكون في ذاتها فالباطل ضعيف المستند وإن انتفش وادعى وتزخرف والحق قوي المستند في ذاته، وقد تكون بسبب معرفة الإنسان أو جهله، فكم من مضاد للحق بسبب الجهل والظلم القائم بذاته.

والأدلة اليقينية المقنعة تشرح صدر صاحبها وتنير فكره وتطمئن قلبه، أما إذا لم يهتد لذلك فهو إما لعدم بلوغ الأدلة له، أو لعناده وجحوده أو لإعراضه واستكباره.

وقل مثل ذلك عن الإيجابية والسلبية والفردية والجماعية والالتزام والتحرر فإن البراهين العقلية والفطرية والحسية والشرعية تجعل كل واحدة من هذه المتقابلات في مكانها الصحيح باعتبارها جزءاً من الكينونة الإنسانية، فمن علم ذلك وعمل بمقتضاه حصلت له اللذة والنعيم الكامل والسعادة التامة والمنفعة العظيمة والخير الكبير، ومن لم يقبل ذلك حصل على الألم والشقاء والمضرة، والشر

الكبير، وليس هذا في شيء من المرجعيات سوى (المرجعية الإيمانية الصحيحة) حيث أنها أقوى العلوم دليلاً وأوثقها برهاناً إذ يتظافر في إثباتها صرائح العقول وبدائه الفطر وأدلة الحس والنقل الصحيح المتلقي بالأسانيد الموصولة الثابتة، وهذا لا يوجد في غير المرجعية الإيمانية الصحيحة، لاشتمالها على الأدلة الموثقة وبمصادرها المتنوعة.

ومن المعلوم أن أصحاب كل مرجعية يرون أن مرجعيتهم تستند إلى أدلة قوية وتقوم على براهين وإلا لما تبعوها وآمنوا بها، ولكن ذلك وحده غير كافي في الحكم على المرجعيات، لأن مجرد الدعوى وميولات النفس وألف الطباع وإرث الآباء والأجداد ليست أدلة، ولا تعتبر عند العقلاء ميزاناً للتمييز بين الحق والباطل، ولو أن أحداً قال بذلك فإنه سيقع حتماً في شراك النسبية المعرفية المفضية إلى العدمة والمقتضية للمساواة المطلقة بين الأمور المتناقضة، فيصبح على سبيل المثال عابد البقر مساوياً لمن يعبد الله تعالى، وتصبح أدلة الحس مساوية لأوهام الوثنيين، وتتساوى أدلة الوحي المعصوم مع أوهام المادية الجدلية، وهذا كله منافياً لحقائق الأمور ومناقض للعقل، ومبطل لأسباب التمييز بين الحق والباطل والخير والشر والفضيلة والرذيلة، والهدى والهوى والبصيرة والعمى.

النوع الثاني: تمثل المرجعية في أشخاص معينين:

سبق الحديث عن ذلك تحت عنوان المستوى الثالث للمرجعية (ممثلو المرجعية)[١١٣].

القسم الرابع: المرجعية باعتبار نتائجها ومآلاتها:

مر عند ذكر (موضوع ومعلوم المرجعية) وأنه كلما كان موضوعها ومعلومها كاملاً عظيماً كانت المرجعية أشرف وأرفع منزلة وأعلى درجة، ومثل هذا يقال في هذا القسم، فالأول يتحدث عن البدايات وهذا يتحدث عن المآلات.

فلا يكفي وثاقة دليل المرجعية، بل لا بد من معرفة أثارها ونتائجها لنحكم حينئذ على مدى فائدة هذه المرجعية ونفعها؛ وذلك لأن المرجعية تتحكم في مسيرة الإنسان وتحدد دوره في الحياة وتحدد مآله في الآخرة، فليس الأمر مجرد مسائل ذهنية أو مناقشات كلامية أو أرقام حسابية أو جدليات منطقية، بل الأمر أعظم من ذلك، إنه يتعلق بحياته في هذه الدنيا وكيف يعيشها (شعائر ومشاعر وشرائع وأخلاقاً) ويتعلق بحياته في الدار الآخرة وكيف يكون مصيره.

إن الإنسان في الدنيا لن يستريح فكره ولن يهدأ باله – إن كان يهتم بنفسه – إلا إذا حصلت له الإجابة المقنعة اليقينية عمن أوجده ولم أوجده و إلى أي شيء سيصير، وما علاقته بهذا الكون الفسيح، وما الذي كان قبل هذا الكون وماذا سيكون المستقبل.

فإذا كانت المرجعية التي يستند إليها تجيبه إجابة صحيحة على هذه الأسئلة الكبرى عن طريق الأدلة اليقينية استنار عقله وأطمأن قلبه وعاش حياة طيبة.

أما إذا استند إلى مرجعية ناقصة أو مشوهة أو منحرفة فلن يصل إلا إلى تشاكس وتناقض واجتزاء، واختزال جانب من الإنسان على حساب جوانب أخرى، بل يصل إلى حالة ينسى فيها نفسه وكيانه ومصلحته الحقيقية ولذته الكاملة فيقع فريسة للأوهام والخرافات والغفلة التائهة.

وإذا تأملنا المرجعيات المختلفة والمخالفة للمرجعية الإسلامية الصحيحة، ونظرنا في نتائجها وآثارها ومآلاتها أمكننا حينئذ أن نعرف مقدار التفاوت وضخامة الفرق، سواء نظرنا في النتيجة المباشرة أو في المآل النهائي لهذه النتيجة، وفي الجدول الآتي تقريب لهذا المفهوم.

المرجعية	المضمون (الإله)	النتيجة
الإسلامية الصحيحة	الله الذي له الكمال المطلق والحكم المطلق.	عبادة الله حباً وتعظيماً، والسير وفق شريعته في كل شيء.
اليهودية	الله ليس له كمال مطلق وغير مستقل عن الخلق واليهود أبناؤه وأحباؤه.	اتخاذ آلهة مع الله، واعتقاد أنهم يساعدون الله، وأنه حل في المخلوقات، وأن لهم حق الامتياز على الخلق يخولهم استصدار قوانين تميزهم عن غيرهم وتمنع نقدهم أو التشكيك فيما زعموه.
النصرانية	الله له ولد وغير مستقل عن الخلق وقد أعطى الرهبان حق تمثيل الدين.	اتخاذ إله مع الله وعبادة الصليب وتقديس الرهبان واعتقاد أن لهم حقاً في التشريع وفي منح الجنة.
الوثنية	آلهتهم الأوثان.	عبادة تلك الأوثان وتقديسها واللجوء إلها واعتقاد قدرتها على النفع والضر.
المادية	المادة هي الإله.	تعظيم المادة واعتقاد أنها ذاتية الوجود أزلية الوجود وأن قوانينها حتمية وأن الإنسان جزء منها منصهر فيها غير خارج عنها مطلقاً.

المرجعية	المضمون (الدنيا الآخرة)	النتيجة
الإسلامية الصحيحة	الدنيا دار عمل والآخرة دار جزاء.	إحسان العمل في الدنيا وعمارة الأرض بحضارة إيمانية تحصل بها السعادة وتحصل أسباب الفوز في الآخرة.
المادية	الدنيا هي كل شيء، لأن الحياة مادة والإنسان جزء منها.	صراع ونهم في اللذات وتعطش للقوة والهيمنة وتحصيل الشهوات والاستكثار بكل وجه ممكن من الدنيا.
اليهودية	الدنيا دار استغلال والآخرة لشعب الله المختار.	استحواذ على الموارد ورؤوس الأموال واحتكار ومتاجرة بالحرام وسعي بالفساد وإبادة للمخالفين واستبعاد للأغيار وإن كان هناك آخرة فالجنة لهم دون الناس.
الطاوية	الدنيا فساد وانحراف ولا شيء بعدها.	الاعتزال والعودة للحياة الطبيعية والوقوف سلباً من الحضارة المدنية، والسعي لإطالة العمر بالرياضات والتأملات العبادية الوثنية.

الخاتمـــة

بعد هذه الجولة في المرجعية وأقسامها وأثارها الاعتقادية والعملية يتلخص البحث فيما يلي:

١- أن المرجعيــة بــالمعنى الاصــطلاحي المتــداول – لفــظ حــادث لا يتنافى مع اللغة بل هو على معيارها.

٢- أن العلماء القدامى استعملوا لفظ (مرجع) مسنداً إلى الذوات وإلى علم معين وكتاب معين أو معاني معينة.

٣- أن المرجعية في هذا العصر تستعمل على ثلاثة مستويات لكل مستوى دلالة خاصة.

٤- يمكن جمع المستويات في تعريف واحد للمرجعية هو (الإطار الكلي والأساس المنهجي، المستند إلى مصادر وأدلة معينة لتكوين معرفة مّا أو إدراك مّا ينبني عليه قول أو مذهب أو اتجاه يتمثل في الواقع علماً أو عملاً).

٥- بيان أهمية المرجعية وتأثيرها وتغطيتها لجميع المساحات التي تليها.

٦- أن المرجعية تنقسم إلى عدة أقسام بحسب الاعتبارات المختلفة: باعتبار ذاتها، وباعتبار مصادرها وأدلتها، وباعتبار تمثلها، وباعتبار نتائجها.

وبعد هذا كله يمكن الخلوص إلى إن من الأهمية بمكان معرفة المرجعية عند دراسة أي اتجاه أو مذهب أو ملة أو حتى دراسة منهجية مفكر أو عالم، لأن المرجعية هي التي تشكل الإطار الأصولي والأساسي المنهجي والمرتكز الجوهري في أي خطاب.

إن إدراك المرجعية يعين بشكل مباشر على فهم وتصور المواقف والأعمال والأقوال الصادرة، بل من خلالها يمكن تفسير القضايا التي قد تبدو بعيدة عن الأفكار والمرجعيات كالأزياء وأشكال الهندسة العمرانية وأنواع الفنون، وطبائع الاستهلاك، وأصناف الألعاب الرياضية وغير ذلك من الأمور، وهو تفسير وفهم غير

اعتباطي ولا قسري إذا جاء في سياقه الصحيح وأعيد إلى مرجعيته بطريقة علمية قويمة.

كما أنه يمكن بناء على إدراك المرجعية إدراك أسباب (التحيزات) العديدة في عالم اليوم، سواء أكان تحيزاً لمنظومة كاملة بكل رؤاها وتشابكاتها وتضميناتها، أو تحيزاً جزئياً انتقائيا أو على سبيل المحاكاة.

ويمكن القول- بناء على ما سبق- بأن إدراك حقيقة المرجعيات يمكّننا من التفريق بين ما ينبغي أخذه من الشعوب المختلفة، وما يجب تركه، اصطفاء الواثق من نفسه ذي المرجعية الواضحة التي يجعلها في عمق فكره،وخالص وجدانه؛ فيقف على أرضية قوية، ويمسك بميزان عادل فلا يخاف من أخذ ما يريد ما دام لا يتعارض مع مرجعيته ولا مع هويته، وهو بهذا الحال يختلف عن الشخص الآخر الذي يتخذ ميزاناً مصنوعاً في مرجعية أخرى ثم يدعي بأنه مبدع ومبتكر ومتطور وعصري.

إننا في هذا الزمان الذي لم يسبق له مثيل في (انقلاب الأوضاع الخارجية والداخلية ضدنا نحن المسلمين) أحوج ما نكون لمعرفة مرجعيتنا وتأصيلها وإيضاحها وجعل المناهج وأشكال الحياة في إطارها، وقبل ذلك كله إقناع أبناء المسلمين الذين خدعوا بالمنهجية المادية وأصبحوا دعاة لها بين المسلمين بالقول أو بالعمل.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبة ·

الهوامش والتعليقات

(١) سورة (المائدة) آية ٤٨.
(٢) لسان العرب ٨ / ١١٤ وانظر المفردات للراغب ١٨٩.
(٣) سورة (العلق) آية ٨.
(٤) لسان العرب ٨ / ١١٤.
(٥) المفردات ١٨٨ ونحوه في الكليات ٤٧٨.
(٦) الكليات ٤٧٩.
(٧) المعجم الوسيط ٣٣١.
(٨) لسان العرب ٨ / ١١٥.
(٩) المصدر السابق ٨ / ١١٥.
(١٠) المصدر السابق ٨ / ١١٩.
(١١) الكليات ٨٧١.
(١٢) المعجم الوسيط ٣٣١.
(١٣) سورة: (المؤمنون) الآيتان ٩٩-١٠٠.
(١٤) لسان العرب ٨ / ١١٤.
(١٥) سورة: (الأعراف آية ١٥٠) .
(١٦) سورة: (يوسف آية ٦٢).
(١٧) لسان العرب ٨ / ١١٤.
(١٨) انظر المصدر السابق ٨ / ١١٦.
(١٩) المصدر السابق ٨ / ١١٦.
(٢٠) المصدر السابق ٨/ ١١٧.
(٢١) محيط المحيط ٣٢٥ وانظر لسان العرب ٨ / ١١٧.
(٢٢) لسان العرب ٨ / ١١٥.
(٢٣) سورة (سبأ آية ٣١).

(٢٤) لسان العرب ٨ / ١١٦.

(٢٥) انظر هذه الأقوال في شرح العمدة لابن تيمية ٢٠٥/٣ ومنهاج السنة له أيضاً ٣٤/٧، ومجموع فتاوى ابن تيمية ٢٣٥/٣ – ٢٣٦ وطبقات الحفاظ ١٦٧/١ والمقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد ٧٥/١ والطرق الحكمية ١٥٠/ ودرء التعارض ١٤/٦.

(٢٦) انظر هذه الأقوال في درء تعارض العقل والنقل ١٩٩/٢، والاستقامة ٢٤٨/١، ومجموع فتاوى ابن تيمية ٢٩٣/٣٢.

(٢٧) انظر هذه الأقوال في بدائع الفوائد ٤١٠/٢، الجواب الصحيح ١٩/٥، الروح ١٧٠/١، مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٩٩/١٣، فتح الباري ١٣/١، ١٨٠/٥، ٥٦٣/٩، ٥٨١/٩.

(٢٨) انظر تعريف مرجع ومراجع بهذا المعنى في قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية لأميل يعقوب وآخرين ص٣٥٢-٣٥٣ ومعجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب لمجدي وهبة ص٣٥١.

(٢٩) انظر هذه العبارات ومعانيها في معجم المصطلحات اللغوية لمنير بعلبكي ص٤٢٢.

(٣٠) انظر هذه القاعدة في درء التعارض ٧٦/١ وبنحوه في مجموع الفتاوى ٢٩٤/٨، وفي مدارج السالكين ٩٩/٣. وفي شرح الطحاوية ١٨٠..

(٣١) انظر العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة لعبد الوهاب المسيري،في الملحق الذي خصصه للتعريف بأهم المصطلحات،ومنها مصطلح المرجعية،ذكره وشرح معناه ٤٥٣/٢ وموسوعة البحث العلمي د/ عبد الفتاح مراد ص ١٤٢٢ لفظ المرجع والمرجعي والمرجعية REFERENCE وفي ص٧٧ في الموسوعة نفسها لفظ الإطار المرجعي للفعل،وانظر معجم مصطلحات الدراسات الإنسانية والفنون الجميلة د/ أحمد زكي بدوي ص ١٤٩مصطلحي الوظيفة المرجعية،والنظرية المرجعية،وينظر معجم المصطلحات الألسنية لمبارك مبارك ص ٢٥١ لفظ وظيفة مرجعية.

(٣٢) انظر المعرفة في الإسلام مصادرها ومجالاتها د/ عبد الله القرني ١٠-١٢.

(٣٣) قول الصحابي وعمله ليس حجة في كل حال وتفصيل ذلك في كتب أصول الفقه ومصطلح الحديث ،انظر كتاب حجية مذهب الصحابة رسالة ماجستير من جامعة أم القرى سنة ١٣٩٨ للدكتور محمد علي إبراهيم

(٣٤) انظر على سبيل المثال كتاب الخميني ، كشف الأسرار ص ١٧٣ وفيه يقول (من يعرف شيئاً عن بدايات ظهور الإسلام وأول أيام الدعوة النبوية يوقن بأن الإمامة كانت منذ اليوم الأول وحتى آخر أنفاس رسول الإسلام صنواً للنبوة) ويقول في كتاب الحكومة الإسلامية ص٥٢ (فإن للإمام مقاماً محموداً ودرجة سامية وخلافةً تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها كل ذرات هذا الكون ، وإن من ضرورات مذهبنا أن لأئمتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل).

(٣٥) الزخرف (٣١).

(٣٦) البقرة (١٧).

(٣٧) الأدلجة: نسبة إلى الإيديولوجية وهي الاعتقادات والأحكام التي يجمعها نظام فكري معين، له منطقه الخاص ومعاييره وأحكامه. انظر: المعجم الفلسفي ص٢٩، والمفاهيم والألفاظ في الفلسفة الحديثة ص ١١٣، ومعجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ص ٤١.

وبالنظر إلى تعريف الإيديولوجيا السابق يمكن القول بأن كل مثقف أو مفكر أو فيلسوف أو مدعٍ لأي من هذه الأوصاف الثلاثة، لا بد أن يكون مؤدلجاً لأنه ينطوي على اعتقادات وأفكار وأحكام لها منطقها الخاص ومعاييرها وضوابطها..

(٣٨) لا منتمية: نسبة إلى فرع من فروع المذهب الوجودي يعرف باسم (اللامنتمي) ويقوم على فكرة أنه لا وجود لقيم ثابتة توجه سلوك الإنسان أو تضبط مساره ولذلك فهو غير منتم لاتجاه أو فكرة معينة أو نظام، وله أن يفعل ما يريد، وليس لأحد أ، يفرض عليه قيماً أو أخلاقً معينة لأن اللامنتمي لا يقبل توجيهاً من خارج ذاته.

انظر الموسوعة الفلسفية للحفني ٥٢٥-٥٢٦، والمعجم الفلسفي ص ٢١١، والموسوعة الفلسفية لأكاديميين سوفييت ص ٥٧٩.

(٣٩) النسبية المطلقة: هي اعتقاد أنه لا وجود للحقيقة إلا حسب تصور مدعيها وسيأتي بيانها عند الحديث عن المرجعية المادية.

(٤٠) الفوضوية: مذهب ينادي بإلغاء الرقابة والضوابط وإلغاء الدولة لأنها أكبر أعداء الفرد، انظر المعجم الفلسفي ١٤١.

(٤١) تسمية هذه المرجعية بالإلهية وهي محرفة على غرار تسمية العلماء التوراة والإنجيل بالكتب الإلهية وهي محرفة أيضا، انظر إغاثة اللهفان لابن القيم ٢/ ٢٢٨،٢٢٦ ، و٢٥٩/٨ ودرء تعارض العقل والنقل ١٣٤/٧ والاستقامة ١٦١/١ والجواب الصحيح ٥٣/٢ ،٤٤٠و٢٢٧/٣ وفي مواضع كثيرة، وسيأتي مزيد بيان لهذا ص٢٦ من هذه البحث.

(٤٢) انظر مجموع فتاوى ابن عثيمين ٢٦/١، ٩١،٩٢/٤، ١٠٠/٥، ٥٧٤/٨.

(٤٣) انظر مصطلحات علوم المنطق عند العرب ٥٣٦ – ٥٣٨.

(٤٤) موسوعة مصطلحات علم المنطق عند العرب ٣٣٢.

(٤٥) انظر الرد على المنطقيين لابن تيمية ص ٣١٧، وانظر مجموع الفتاوى له ٢٢٣/٩.

(٤٦) انظر المعرفة في الإسلام، د/ عبدالله القرني٤٨٧ – ٤٨٨.

(٤٧) انظر الفيزياء ووجود الخالق، د/ جعفر شيخ إدريس ص ٤٧.

(٤٨) من كان وجوده واجبا وربوبيته مطلقة (خلقا وملكا وتدبيرا) فهو المستحق للعبادة والطاعة، (ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين) الأعراف ٥٤

(٤٩) انظر هذا المعنى تحت عنوان دليل العناية في كتاب براهين وأدلة إيمانية، لعبدالرحمن الميداني ٢١٥، والفيزياء ووجود الخالق ٥٤-٥٧.

(٥٠) انظر عن قانون السببية في كتاب براهين وأدلة إيمانية للميداني ١٥٣- ١٦٤.

(٥١) انظر المعرفة في الإسلام ٢١٣-٢٧٠ ففيه دراسة مؤصلة لهذا الموضوع، وانظر شفاء العليل لابن القيم٥٩٢–٦٤١، وشرح الطحاوية ٥-٣٦.

(٥٢) انظر شفاء العليل ٦٠٣.

(٥٣) انظر شرح الطحاوية ٢٣.

(٥٤) انظر مجموع فتاوى ابن عثيمين ١٠٨/٥.

(٥٥) لا يدخل اهل البدع من المسلمين كلهم هنا، فمن اعلن إيمانه بأركان الإيمان الستة وأركان الإسلام الخمسة فهو في الاصل من أهل القبلة، وإن وقع منه تحريف أو تبديل علما أو

عملا، وأكثر علماء المسلمين على خروج باطنية الشيعية والصوفية من أهل القبلة وإن انتسبوا للإسلام كالدروز والنصيرية والبهائية وأصحاب وحدة الوجود. (٥٥) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (المختصرة) د/ عبدالوهاب المسيري ١٩/٢.وانظر الديانات والعقائد في مختلف العصور ٣٦٨/٢-٣٧١.

(٥٦) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (المختصرة) د/ عبدالوهاب المسيري ١٩/٢.وانظر الديانات والعقائد في مختلف العصور ٣٦٨/٢-٣٧١.

(٥٧) انظر المصدر السابق ٢٠/٢.

(٥٨) المصدر السابق ٢٠/٢.

(٥٩) انظر: انظر الديانات والعقائد في مختلف العصور ١٩٦/٢- ٢١٠ ، ٢١٦ ، ٢١٨- ٢٢١، و الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب ٥٠٥/١ وقد ذكر الله تعالى بعض ذلك عنهم في آيات عديدة من القرآن العظيم كقوله تعالى: (وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان) سورة المائدة آية ٦٤، وقوله سبحانه في الرد على زعمهم أنه تعالى استراح في اليوم السابع بعد خلق السموات والأرض في ستة أيام: (ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب) سورة ق آية ٣٨، وقوله تعالى: (وقالت اليهود عزير ابن الله...) سورة التوبة آية ٣٠.

(٦٠) انظر موسوعة اليهود واليهودية ٢٠/٢.

(٦١) انظر المصدر السابق ٢٠/٢.

(٦٢) انظر المصدر السابق ٤١٢/٢-٤١٤.

(٦٣) قال الله تعالى: (وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة قل أتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون) سورة البقرة آية ٨٠، وقال سبحانه عنهم (ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون) سورة آل عمران آية ٢٤.

(٦٤) انظر عن النصرانية: قاموس أديان ومعتقدات شعوب العالم لصلاح قانصوه وآخرين في ص٨١ عن الاله البشري وهو المسيح و في ص٨٣ عن مريم العذراء وأنها والدة الله (تعالى الله) وفي ص١٧٥ عن التجسد وفي ص٥٤٥ عن وحدانية الله وفي ص٢٩ عن اتحاد أقنومي وفي ص١٩٣ عن الثالوث، وانظر كتاب الديانات والعقائد في مختلف العصور لأحمد عبد الغفور عطار ج٣ عن النصرانية ،والموسوعة الميسرة ٥٧٤/٢ – ٥٩١.

(٦٥) أشهر الأديان الوثنية المعاصرة: الصابئة في العراق، وفي الهند السيخية والهندوسية وما تفرع عنها وهي الجينية والمهاريشية، وفي اليابان الشنتوية، وفي الصين الطاوية والكونفوشيوسية، وتوجد البوذية في أكثر من بلد آسيوي ومن فروع البوذية المهايانا التي زاد أتباعها في دول الاتحاد الأوروبي في الآونة الأخيرة عن مليونين، انظر قاموس أديان ومعتقدات شعوب العالم عن الصائبة في ص٣٤٦ وعن السيخ في ص٤٤ و ص٤٧ وص ٤٠٥ و ص٥٠٣ وعن الهندوسية في ص٥٢٩ وعن الجينية في ص٢٢٣ وعن الشنتوية في ص٣٣٩ وعن الطاوية في ص١٧١ وعن الكونفوشيوسية في ص٤٢٤ وعن البوذية في ص١٥٤ وعن المهايانا في ص٤٨١ وعن الزراديشتية في ص٢٩٨ ،،وانظر كتاب الديانات والعقائد في مختلف العصور الجزء الأول عن الديانات الوثنية القديمة والحديثة في الهند والصين واليابان والعراق ومصر،وانظر الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب ٧٢١/٢ – ٧٨٦.

(٦٦) انظر كشاف اصطلاحات الفنون ١٧٥٦/٢، والمفردات للراغب ٥١٢، ومعجم المصطلحات والألفاظ الفقهية ٤٦٤/٣، وقاموس أديان ومعتقدات شعوب العالم ص ٥٤٤.

(٦٧) العنكبوت ٢٥.

(٦٨) انظر موسوعة البحث العلمي د/ عبدالفتاح مراد ١٠٢٦.

(٦٩) انظر المصدر السابق الصفحة نفسها، ومعجم مصطلحات الدراسات الإنسانية ص٢٦١، وقاموس أديان ومعتقدات شعوب العالم ص٥٤٤.

(٧٠) انظر المفاهيم والألفاظ في الفلسفة الحديثة ليوسف الصديق ص٣٦، ومعجم مصطلحات الدراسات الإنسانية ص١٨٥.

(٧١) انظر: قاموس أديان ومعتقدات شعوب العالم ٥٤٤ -٤٥٤ عن مصطلح وحدة الوجود ، ووحدانية الله وص ٢٩ عن مصطلح اتحاد ، وانظر الموسوعة الميسرة في الأديان ٧٤٧/٢.

(٧٢) انظر: قاموس أديان ومعتقدات شعوب العالم ص٤٢٩ عن الهندوسية ، وفي ص٣٨٧ عن الفيدا والفيدانتا وهي من مصطلحات الهندوسية ، وانظر ايضا الموسوعة الميسرة ٧٣٥/٢.

(٧٣) انظر: انظر قاموس أديان ومعتقدات شعوب العالم ص١٥٤ وص ٤٥٥ ص٤٨١ والموسوعة الميسرة٧٦٩/٢ ولعل هذا أحد الأسباب التي جعلت البوذية، وخاصة في نسختها المسماة (المهايانا) تنتشر اليوم في دول الاتحاد الأوروبي، بحيث تجاوز عدد ممارسيها المليونين، لما بين الديانتين من اشتراك في بعض الأصول والمفاهيم،، انظر عن المهايانا ، قاموس اديان ومعتقدات شعوب العالم ص٤٨١

(٧٤) انظر مجلة الناقد عدد ٨ فبراير ١٩٨٩م / ١٤٠٩هـ ص ٣٢-٣٤ من مقال بعنوان مقاربة الحداثة لحنا عبود.

(٧٥) انظر: الديانات والعقائد في مختلف العصور ٢٢٧/٢ -٢٢٩، ٣٢٠ ، ٣٢٣ – ٣٢٦ وموسوعة اليهود واليهودية للمسيري ٢٢/٢.

(٧٦) انظر: قاموس أديان ومعتقدات شعوب العالم ص٢٢٨ مذهب حلولية المادية، وفي ص٣٣٨ مذهب شمولية النفس، وكتاب اللغة والمجاز بين التوحيد ووحدة الوجود د/ عبدالوهاب المسيري ٢٢٤- ٢٢٥.

(٧٧) انظر محيط المحيط ٨٤٢.

(٧٨) انظر المعجم الوسيط ٨٥٨.

(٧٩) انظر: معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية ص ٤٠٥ ، والموسوعة الفلسفية للحفني ص ٤٢٩ - ٤٣١ .

(٨٠) الماديون ليسوا على درجة واحدة في اعتناق المادية فمنهم الصريح في اعتناق المادية والإيمان بمضامينها الأساسية ومنهم الهجين الذي يؤمن بها مع مزيج ديني أو غيبي، وعلى ذلك يمكن القول بأن المادية منها ما هو شمولي، ومنها ما هو جزئي، وكذلك من اعتنقها وآمن بها أو تأثر ببعض مفاهيمها ومنطلقاتها.

(٨١) المعجم الفلسفي ١٠٨.

(٨٢) **النسبية** صفة لكل ما هو نسبي أو إضافي، ويقابلها المطلق، ومذهب النسبية يقوم على أن المعارف والقيم والأخلاق ليست ثابتة بل نسبية تختلف باختلاف الظروف والاعتبارات، والنسبية المعرفية تجعل كل الأمور متساوية، وتقاوم اليقين والجزم وترفض القطعية حتى في الأمور القاطعة، وبذلك وقع المؤمنون بها في أحابيل العدمية والشك، وتعتبر النسبية أصلاً جوهرياً لليبرالية التي وصفها أحد دعاتها العرب بأنها (أيدلوجيا حقيقتها المطلقة أنه لا حقيقة مطلقة) تركي الحمد في كتابه من هنا يبدأ التغيير ص١٣٨ ونحوه في كتاب شاكر النابلسي الليبراليون الجدد ص٢٤ / وانظر النسبية في المعجم الفلسفي ص١٨٠ و ص٢٠٠.

(٨٣) **داروين** هو عالم أحياء انجليزي صاحب نظرية النشوء والارتقاء التي ادعى فيها أن الكائنات الحية محكومة بالانتخاب الطبيعي الذي يحدث بالصدفة ويتأكد بالوراثة، وليس فيه قصد ولا يدل على علة تحدثه، بل الطبيعة هي التي وهبت الأنواع القوية عوامل البقاء والنمو والتكيف، وقد رفض داروين الأديان وجميع مضامينها المتعلقة بوجود الإنسان ولد سنة ١٢٢٤هـ/١٨٠٩م وتوفي سنة ١٢٩٩هـ/١٨٨٢م. انظر الموسوعة الفلسفية للحفني ١٧٧–١٧٨، والموسوعة الفلسفية لأكادميين سوفيت ١٩٢-١٩٣.

(٨٤) **النشوء والارتقاء** فرضية أو نظرية وضعها داروين، انظر الترجمة السابقة.

(٨٥) **التفسير المادي للتاريخ** فلسفة التاريخ التي تقول بها الماركسية وترد حركة التاريخ إلى تطور قوى وعلاقات الإنتاج في المجتمع وترى أن تاريخ التطور الاجتماعي هو تاريخ الإنتاج المادي وتاريخ الطبقة العاملة؛ وكل ذلك على أساس مادي بحت ليس لأي قوة خارج المادة أي أثر في ذلك مطلقاً، وتعرف هذه النظرية بالمادية الاقتصادية والمادية التاريخية المتفرعة عن المادية الجدلية التي هي النظرية العامة للماركسية اللينينة / انظر الموسوعة الفلسفية للحفني٤٠٧، والموسوعة الفلسفية للسوفييت٤٣١، ومعجم المصطلحات والشواهد الفلسفية ٤٠٥.

(٨٦) المادية الاقتصادية انظر التفسير المادي للتاريخ.

(٨٧) المادية التاريخية انظر التفسير المادي للتاريخ.

(٨٨) المادية الجدلية انظر التفسير المادي للتاريخ.

(٨٩) المذهب **الطبيعي في الفلسفة** هو تفسير حركة المجتمعات وفق قوانين الطبيعة مثل الأحوال البيئية والجغرافية والمناخية واختلاف وظائف الأعضاء (البيولوجية) واختلاف أجناس الشعوب، ويقوم هذا المذهب على مركزية الإنسان في الكون، والمذهب الطبيعي مذهب مادي يعتبر الإنسان النتاج الأعلى للطبيعة، ويؤكد وحدة الإنسان والطبيعة، ويضاد حقيقة أن الإنسان مكون من روح وجسد، انظر الموسوعة الفلسفية لأكادميين سوفييت ٤٠٧-٤٧٢.

(٩٠) **المذهب العقلاني** في الفلسفة يقوم على الإيمان المطلق بالعقل وقدراته، وأنه قادر على تحصيل الحقائق من العالم بدون مقدمات تجريبية، ولا تستمد المعرفة عند أصحاب هذا المذهب من الخبرة الحسية، وذهبوا إلى إعلاء العقل بوصفه نقيضاً للخرافة والإيمان، حسب قولهم، انظر الموسوعة الفلسفية لأكادميين سوفييت ٤٧٢-٤٧٣، والموسوعة الفلسفية للحفني ٤٣١.

(٩١) **الوضعية** في الفلسفة، مذهب يرى أن عقل الإنسان لا يدرك سوى الظواهر الواقعة والمحسوسة وما بينها من علاقات أو قوانين، ويعتبر العلوم التجريبية المثل الأعلى لليقين، ويقف موقف المضادة لكل الأبحاث الماورائية أي كل ما هو خارج نطاق الحس ويشمل ذلك الغيبيات، وانبثق من الوضعية عدة فلسفات، كالوضعية المنطقية، ولها تأثير على الفلسفة الذرائعية (البرغماتية) انظر الموسوعة الفلسفية للحفني ٥٢٦-٥٢٨، ٣٦٢، والمفاهيم والألفاظ في الفلسفة الحديثة ١٦٦، ومعجم المصطلحات والشواهد ٤٨٧ – ٤٨٩ والمعجم الفلسفي لمجمع اللغة ٢١٤.

(٩٢) **الوجودية** مذهب فلسفي يقوم على إبراز الوجود وخصائصه، وجعله سابقاً على الماهية، والقول بالحرية المطلقة للإنسان بحيث يملاء وجوده بالنحو الذي يلائمه، ويعتبر الإلحاد أهم مبادئ الوجودية / انظر الموسوعة الفلسفية للحفني ٥٢٥-٥٢٦، والمعجم الفلسفي ٢١١، ومعجم المصطلحات والشواهد الفلسفية ٤٨٥.

(٩٣) المعجم الفلسفي ص٢١٢.

(٩٤) للتوسع عن المادية وقضاياها انظر معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية٤٠٥، والموسوعة الفلسفية للحفني ص٤٢٩-٤٣١، والعلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة للمسيري ٤٥٣/٢، ٤٥٤، ٤٥٨-٤٦٠، ٤٦٤، ٤٦٧-٤٦٨.وموسوعة اليهود واليهودية(المختصرة) ٣٨/١، وكتاب اللغة والمجاز بين التوحيد ووحدة الوجود د/ عبدالوهاب المسيري ص ٢٢٠-٢٢١، ٢٢٤- ٢٢٥، وقاموس أديان ومعتقدات شعوب العالم ص٢٢٨ مذهب حلولية المادية، وفي ص٣٣٨ مذهب شمولية النفس، والموسوعة المسيرة للأديان والمذاهب ١١٤٧/٢،.

(٩٥) انظر درء تعارض العقل والنقل ١٧٤/٥.

(٩٦) هناك أقوال عديدة في تعريف العلم والمعرفة وفي التفريق بينها وفي علاقة ذلك بالعقلي والحسي، وانظر ذلك ملخصاً في كتاب المعرفة في الإسلام د /عبدالله القرني ١٥-١٨.

(٩٧) انظر تاريخ الفلسفة اليونانية ليوسف كرم ٢٤٧-٢٥٢.

(٩٨) المصدر السابق ٢٥٣-٢٨٤.

(٩٩) كما قال تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله) التوبة ٣١.

(١٠٠) فيدا كلمة سنسكريتية يمعنى يعرف،والمقصود بها الكتب القديمة المقدسة عند الهندوس،وتضم أربعة أسفار، انظر قاموس أديان ومعتقدات شعوب العالم ص٣٨٧، والموسوعة الميسرة ٧٣٤/٢.

(١٠١) بعضهم يسميه (لاو تسو) أي المعلم العجوز ويسمون كتابه (تاو تي كنج) انظر انظر قاموس أديان ومعتقدات شعوب العالم ص ٣٣، والموسوعة الميسرة ٧٤٥/٢.

(١٠٢) انظر :قاموس أديان ومعتقدات شعوب العالم ص ١٥٤، والموسوعة الميسرة ٧٧١/٢.

(١٠٣) انظر: البوذية في قاموس أديان ومعتقدات شعوب العالم ص ٣٣، والموسوعة الميسرة ٧٦٨/٢.

(١٠٤) انظر قاموس أديان ومعتقدات شعوب العالم ص ٤٢٤، والموسوعة الميسرة ٧٦٠/٢.

(١٠٥) انظر قاموس أديان ومعتقدات شعوب العالم ص ١٧١، والموسوعة الميسرة ٧٤٦/٢.

(١٠٦) انظر تاريخ الفلسفة اليونانية ليوسف كرم ص٧، ٢٤، ٨٥ وغيرها، والديانات والعقائد في مختلف العصور ١/٣٦٣-٣٧٢.

(١٠٧) انظر الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان للمسيري ص ٢٩،و قاموس أديان ومعتقدات شعوب العالم لصلاح قانصوه وآخرين ص ٢٣٨ مادة حلولية المادية (مذهب)، وفي ص ٣٣٨ مادة شمولية النفس (مذهب) وفي ص ٢٤١ عن حيوية المادة (مذهب)

(١٠٨) الميتافيزيقيا: أي مابعد أو مافوق الطبيعة ،وهو علم يتعلق بما هو فوق الحس، ويبحث في المبادئ والعلل المطلقة، انظر معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية ص ٤٦٠

(١٠٩) انظر الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان. ٣١-٣٣

(١١٠) السفسطة نوع من الاستدلال يقوم على الخداع والمغالطة، وتسمى عند بعض الفلاسفة الحكمة المموهة،وعند المنطقيين القياس المركب من الوهميات،والسوفسطائي هو الذي يمارس المحاجة والاستدلال بناء على المغالطة والجدل العقيم واللعب بالألفاظ،وعرفه ابن سينا بأنه هو الذي يتراءى بالحكمة ويدعي أنه مبرهن ولا يكون كذلك،،انظر المعجم الفلسفي ٩٧،والموسوعة الفلسفية للحفني ٢٤٩، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية ٢٤٧،٢٤٥

(١١١) يقول مؤلف كتاب معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية ص ٢٤٥ : (وتجدر الاشارة...إلى ما شاهدته الساحة الفلسفية منذ سنوات من رجوع حثيث إلى كبار السوفسطائيين من أجل إعادة الاعتبار لهم والتأمل من جديد فيما يتصفون به من حكمة وبعد نظر...).

(١١٢) انظر قاعدة في المحبة لابن تيمية ١٣٥/ ٣٢٦، ٣٣٩-٣٤١، ٣٤٨، ٣٥١، وقواعد الأحكام للعز بن عبدالسلام ١/١٠-١٥.

(١١٣) انظر ص ١٣ من هذا البحث.

فهرس المراجع

١- الاستقامة لابن تيمية ،أحمد بن عبدالحليم بن عبد السلام،طبع جامعة الإمام في الرياض ط الأولى سنة ١٤٠٣

٢- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، لابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر،تحقيق محمد حامد الفقي، ط الثانية ١٣٩٥،دار المعرفة –بيروت

٣- بدائع الفوائد، ابن القيم، دار الكتاب العربي - بيروت.

٤- براهين وأدلة إيمانية، عبدالرحمن الميداني،دار القلم –دمشق، ط الأولى ١٤٠٨

٥- تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم،دار القلم-بيروت،ط الأولى سنة ١٩٧٧م

٦- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح،لابن تيمية ،أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام،تحقيق علي حسن ناصر وآخرون، دار العاصمة- الرياض،ط الأولى سنة ١٤١٤

٧- الحكومة الإسلامية للخميني، روح الله الخميني، وزارة الإرشاد بجمهورية إيران

٨- درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود، الطبعة ١ عام ١٣٩٩هـ.

٩- الديانات والعقائد في مختلف العصور أحمد عبدالغفور عطار ط١ طبع في مكة عام ١٤٠١هـ

١٠- الرد على المنطقيين، لابن تيمية، دار المعرفة - بيروت، بدون تاريخ طباعة.

١١- الروح،لابن القيم،محمد بن أبي بكر الزرعي،دار الكتب العلمية- بيروت طبعة عام ١٣٩٥

١٢- شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، علي بن علي بن محمد، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مكتبة المؤيد - الطائف، الطبعة ١ عام ١٤٠١هـ

١٣- شرح العمدة في الفقه، لابن تيمية، تحقيق سعود بن صالح العطيشان، مكتبة العبيكان - الرياض، الطبعة ١ عام ١٤١٣هـ.

١٤- شفاء العليل، ابن القيم،محمد بن أبي بكر الزرعي،تحقيق محمد بدر الدين النعساني،دار الفكر بيروت،سنة ١٣٩٨

١٥- طبقات الحفاظ للسيوطي،عبدالرحمن بن أبي بكر،دار الكتب العلمية،بيروت،ط الأولى سنة ١٤٠٣

١٦- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، لابن قيم الجوزية، عناية د/ محمد جميل غازي، مطبعة المدني - القاهرة، بدون تاريخ.

١٧- العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، عبدالوهاب المسيري، دار الشروق-القاهرة،ط الأولى ١٤٢٣

١٨- فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، تصحيح وتعليق عبدالعزيز بن باز، نشر إدارة البحوث العلمية والإفتاء بالرياض.

١٩- الفيزياء ووجود الخالق، د/ جعفر شيخ إدريس،المنتدى الإسلامي، ط الأولى سن ١٤٢٢هـ.

٢٠- الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان،د/عبد الوهاب المسيري، دار الفكر المعاصر٠بيروت،ط الأولى ١٤٢٣= ٢٠٠٢

٢١- قاعدة في المحبة، ابن تيمية،أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام،تحقيق محمد رشاد سالم،مكتبة التراث الإسلامي،القاهرة ، بدون تاريخ

٢٢- قاموس أديان ومعتقدات شعوب العالم،إعداد صلاح قانصوه وزملاؤه،مكتبة دار الكلمة –القاهرة،ط الأولى ٢٠٠٤

٢٣- قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية، أميل يعقوب وبسام بركة ومي شيخاني، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة ١ عام ١٩٨٧هـ.

٢٤- قواعد الأحكام في مصالح الأنام للعز بن عبدالسلام السلمي، دار الكتب العلمية-بيروت ،بدون تاريخ

٢٥- كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي محمد ين علي، تحقيق وإشراف رفيق العجم وآخرون، مكتبة لبنان- ناشرون، الطبعة ١ عام ١٩٩٦م.

٢٦- كشف الأسرار للخميني،روح الله الخميني،تقديم محمد أحمد الخطيب،دار عمار الأردن-عمان ط الأولى سنة ١٤٠٨

٢٧- الكليات للكفوي أبي البقاء أيوب بن موسى، عناية عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة ١ عام ١٤١٢هـ.

٢٨- اللبراليون الجدد، شاكر النابلسي،دار الجمل-ألمانيا، ط الأولى سنة ٢٠٠٥م.

٢٩- لسان العرب لابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم، دار صادر – بيروت.

٣٠- اللغة والمجاز بين التوحيد ووحدة الوجود، عبدالوهاب المسيري، دار الشروق - القاهرة، الطبعة ١ عام ١٤٢٢هـ.

٣١- مجلة الناقد عدد ٨ فبراير ١٩٨٩م / ١٤٠٩هـ

٣٢- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد، نشر إدارة البحوث العلمية والإفتاء بالرياض، عام ١٣٩٨هـ.

٣٣- مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب فهد بن ناصر السليمان، دار الثريا للنشر - الرياض، الطبعة ٢ عام ١٤١٤هـ.

٣٤- محيط المحيط لبطرس البستاني، مكتبة لبنان - ناشرون، إعادة الطبع سنة ١٩٩٨م.

٣٥- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين،لابن القيم،محمد بن أبي بكر الزرعي،تحقيق محمد حامد الفقي،دار الكتب العلمية- بيروت،ط الثانية ١٣٩٣

٣٦- المعجم الفلسفي، من إصدار مجمع اللغة العربية في مصر، عالم الكتب - بيروت، طبعة عام ١٣٩٩هـ.

٣٧- معجم المصطلحات العربية اللغة والأدب، مجدي وهبة وكامل المهندس، مكتبة لبنان - بيروت، الطبعة ٢ عام ١٩٨٤هـ.

٣٨- معجم المصطلحات اللغوية، إنكليزي - عربي، منير بعلبكي، دار العلم للملايين، الطبعة ١ عام ١٩٩٠م.

٣٩- معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية،محمود عبدالرحمن عبد المنعم،دار الفضيلة –القاهرة بدون تاريخ

٤٠- معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، جلال الدين سعيد، دار الجنوب للنشر - تونس، بدون تاريخ.

٤١- المعجم الوسيط –مجمع اللغة العربية ،عناية د/إبراهيم أنيس وآخرون

٤٢- معجم مصطلحات الدراسات الإنسانية والفنون الجميلة، أحمد زكي بدوي، دار الكتاب المصري القاهرة، ودار الكتاب اللبناني - بيروت، الطبعة ١ عام ١٤٠٧هـ.

٤٣- المعرفة في الإسلام مصادرها ومجالاتها، د/ عبدالله بن محمد القرني،دارعالم الفوائد ط الأولى سنة ١٤١٩

٤٤- المفاهيم والألفاظ في الفلسفة الحديثة، يوسف الصديق، الدار العربية للكتاب، الطبعة ٢.

٤٥- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة - بيروت.

٤٦- المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد،لابن مفلح الحنبلي،إبراهيم بن محمد بن عبدالله،مكتبة الرشد-الرياض، ط الأولى سنة ١٩٩٠م

٤٧- من هنا يبدأ التغيير، تركي الحمد،دار الساقي-بيروت، ط الأولى سنة ٢٠٠٤م.

٤٨- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية لابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، طبع جامعة الإمام محمد بن سعود، الطبعة١ عام ١٤٠٦هـ.

٤٩- موسوعة البحث العلمي، د/ عبدالفتاح مراد،طبع بمصر-الاسكندرية سنة ١٩٩٨م.

٥٠- الموسوعة الفلسفية لأكاديميين سوفيت ، من وضع لجنة الأكاديميين السوفييت ، ترجمة : سمير كرم ، دار الطليعة – بيروت الطبعة السادسة ١٩٨٧م.

٥١- الموسوعة الفلسفية : عبدالمنعم الحفني ، دار ابن زيدون – بيروت ، المطبعة الأولى بدون تاريخ .

٥٢- الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب،إصدار الندوة العالمية للشباب الإسلامي، بإشراف مانع الجهني، ط الثالثة سنة ١٤١٨هـ.

٥٣- موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية المختصرة، د/ عبدالوهاب المسيري،دار الشروق –بيروت،ط الأولى ٢٠٠٤م.

٥٤- موسوعة مصطلحات علم المنطق عن العرب، جمع فريد جبر ورفيق العجم وسميح دغيم وجيرار جهامي، مكتبة لبنان – ناشرون، الطبعة ١ عام ١٩٩٦م.